نفحات
حـــب
مـن
سورة يوسف

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

دار حامل المسك للنشر والتوزيع
الكويت
هاتف ٢٤٩٢٦٣٢١ - ٢٤٩٢٦٣٢٢ - النقال ٦٦٨٩٠٠٧٨ - فاكس: ٢٤٩٢٦٣٢٠
ص. ب ١٢٣٢٦ - الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٣
Websit: www.hamel-almisk.com
E.mail: info@hamel-almisk.com

نفحات
حب
من
سورة يوسف

عدنان عبد القادر القادري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

- **بين يدي السورة**

هذه الورقات ما هي إلا نفحات حب مع الله تبارك وتعالى تضمنتها سورة يوسف.

قال الله تعالى في مستهل هذه السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

لماذا هي أحسن القصص بالرغم من أن الله عز وجل قص علينا قصصاً كثيرة في كتابه؟ لِمَ خص الله عز وجل سورة يوسف بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؟

سورة يوسف؛ الجميع يحبها، المؤمن يحب قراءتها، و المحسن يحب قراءتها، العاشق يحب قراءتها، العاصي يحب قراءتها، الكل يحب قراءة سورة يوسف، لِمَ؟

سورة يوسف تتعلق بالمحبوب وتتعلق بعلاقة القلب بهذا المحبوب، فهي تتكلم عن تعلق القلوب ببارئها وتفطرها من أجل محبوبها، ومن أجل خالقها، وكيف يفوز المحب بِحِبِّه. فحب الله تبارك وتعالى عليه قوام العبد وهو أصل سعادته ويحدوه التتيّم بالله تبارك وتعالى.

* * *

النفحة الأولى
احفظ السر فيما بينك وبين الله تعالى

قال نبي الله يوسف عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ فنصحه أبوه عليه السلام بحفظ هذا السر وعدم إفشائه لئَلا تذهب حلاوته ولئلا يحسد عليه وليفوز بثمراته اليانعة على أكمل وجه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾.

إن لله تعالى نفحات مع العبد فاحرص على أن لا يطلع أحد من الخلق على هذه النفحات الإلهية أو هذا السر الذي بينك وبين الله عز وجل.

وكم من حلاوة للعبودية بينك وبين الله تعالى ذهبت عندما تحدثت بها، فإذا كان بينك وبين الله عز وجل سر فلا تفصل في ذكره، وإذا ذكرته فاذكره على وجه العموم كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم على وجه العموم لما سأله أبو ذر رضي الله عنه: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نورا»[1]. هكذا على وجه العموم دون تفصيل.

---

(١) رواه مسلم (١٧٨)

لما رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾ ورأى الجمال فيها في عروجه إلى السماء لم يفصّل فيها إذ قال ﷺ: «فلما غشيها من أمر الله ﷻ ما غشى»[1]. فاحتفظ بالسر بينه وبين الله تبارك وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن أعظم النعمة الإقبال والتعبد، ولكل نعمة حاسد على قدرها؛ دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فإن أنفس الحاسدين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد. وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ الآية. وكم من صاحب قلب وجمعية وحال مع الله تعالى قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إياها الأغيار، ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى، ولا يطلع عليه أحد. والقوم أعظم شيئاً كتماناً لأحوالهم مع الله ﷻ **وما وهب الله من محبته والأنس به وجمعية القلب ولاسيما فعله للمهتدي السالك**[2].

فلا تذكره لأحد لئلا تحسد عليه كما في الأثر: «استعينوا على

(١) رواه مسلم (١٦٢)

(٢) المجموع (١٥/ ١٨-١٩).

الحوائج بكتمانها، فإن لكل نعمة حاسد»[1].

فإنك إن لم تتحدث به أتمه الله عَزَّ وَجَلَّ عليك ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ وهو أبعد عن الرياء وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشركه»[2].

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

إنك إن لم تُفض بهذا السر فإن الثمرة تنضج وتكتمل وتصبح تامة فتجد حلاوة لهذه العلاقة التي بينك وبين الله تبارك وتعالى. ولا يجدها من أفشاه إذ الاحتفاظ بهذا السر صورة من صور الإخلاص.

قال الجنيد: الإخلاص هو سر بينك وبين الله عَزَّ وَجَلَّ لا يعلمه أحد ولا يعلمه شيطان فيفسده. وقال مكحول: ما أخلص عبدٌ لله قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية تفيض عليه أسرار إلهية في السجن يستروح فيها ويجد فيها رحمة عظيمة، لذا قال عندما أدخل السجن: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾.

(١) رواه السهمي في تاريخ حرجان (٣٥٦) وابن حبان في روضة العقلاء (١/١٨٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

فاحرص على كتمان السر الذي بينك وبين الله تعالى فقد قال النبي ﷺ: «من سَمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»[1].

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري (٦٤٩٩) ومسلم_(٢٩٨٦)

النفحة الثانية
الخوف من مفارقة المحبوب

قال يعقوب عليه السلام في شأن خروج يوسف عليه السلام ليلعب مع إخوته: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ خاف أن يفارق حِبّه، أو يفارق الأحوال التي كان يعيشها مع حبه.

هذه هي الحالة التي كان يعيشها رسول الله ﷺ مع الله عز وجل، لذا نَبَّه الله عز وجل نبيه ﷺ على هذه النفحة فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ لم يقل الله تعالى: [إذاً لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات] فمعنى الآية: لو ملت إليهم يا رسول الله وركنت إليهم لمددنا لك في الحياة عمراً ضعف عمرك ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ كم عمرك؟ ستون سنة؟ سنعطيك مائة وعشرين، ولكن سنعرض عنك و نهجرك؛ وحاشا للنبى ﷺ أن يهجر من قبل الله عز وجل ولكن الله عز وجل يمن عليه، كيف سيشعر حينئذ؟ فالنبي ﷺ يخشى أن تأتى

هذه الأيام التي يعرض الله ﷿ عنه، بل كل محب لله تبارك وتعالى يخشى هذه اللحظة. بل وأيضا الحياة البرزخية؛ قال سبحانه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي مددنا لك سنوات طويلة في حياتك الدنيوية وحياتك البرزخية إلى أن تلقى الله ﷿ ولكن هذه السنوات ليس فيها إلا الهجر.

المحب يخشى أن تذهب هذه النفحات وأن يعرض الله ﷿ عنه. المحب يخشى زوال رقة القلب نحو الله تعالى وأن تتبدل إلى قسوة القلب، فالمحب يخشى أن تذهب هذه الحلاوة يوماً ما، قال أنس ﵁: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[2]، وقال عبد الله بن عمر ﵄: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا، ومقلبِ القلوب»[3]، فكان النبي ﷺ يخشى أن يقلب الله ﷿ قلبه أو أن

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠) وقال حديث حسن؛

(٢) رواه مسلم(٢٦٥٤).

(٣) رواه البخاري (٧٣٩١)

يوكله إلى حسناته.

وكان سفيان الثوري يبكي وهو على فراش الموت، فقيل له: لم تبكي؟ قال: أخشى أن أسلب التوحيد في هذه اللحظة، أخشى أن أسلب هذه الحلاوة التي بيني وبين الله ﷻ.

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مَخِيْلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه. فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه فقلت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية. فقال ﷺ: «يا عائشة! ما يُؤَمِّني أن يكون فيه عذاب؛ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾»[1].

ولذا يقول المؤمنون دائما ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾،

وكان الخليل إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل يقولان وهما يبنيان

(١) رواه البخاري (٤٨٢٩) ومسلم (٨٩٩)

الكعبة -أفضل بنيان على وجه الأرض: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ أي ثبتنا على هذا الدين وزد قلوبنا استسلاماً لك وانقياداً وحباً وتعلقاً.

فيخاف من مكر الله بالاستدراج إلى المعاصي، ويخاف من العجب، ويخاف من فقد التوبة فجميعها تقلب أحوال العبد وتنتهي إلى فراق المحبوب.

كان أبو بكر ﷺ يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. أي: أخشى بعِثَرات لساني أن أسلب حلاوة النفحات الإلهية وفراقها كما قال الله تعالى: ﴿... سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾. لذا قال النبي ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج»(١).

وقد عوتب الحسن البصري في شدة حزنه وخوفه فقال: ما آمن أن يكون الله تبارك وتعالى قد اطلع عليّ اطلاعا في بعض ما يكره وفى بعض معاصيّ التي عصيت الله ﷻ فيمقتني فيقول: اذهب فلا غفرت لك. فتنقلب أحواله حينئذ.

(١) رواه أحمد (١٧٣١١) وابن أبي حاتم (٧٢٨٨) وحسنه العراقي الإحياء (٤/ ١٣٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١٣)

لذا يخاف العبد المحب أن تذهب منه هذه النفحات وهذه الحلاوة التي بينه وبين الله ﷻ بسبب ذنوبه وتقصيره، فلا يأمن مكر الله ﷻ. ولذا الإمام أحمد وهو على فراش الموت أخذ يشير ويقول: لا، وابنه يقول له: قل لا إله إلا الله وهو يشير ويقول: لا، ويغشى عليه. فلما أفاق قال له ابنه: يا أبت! أقول لك قل لا إله إلا الله وتقول لي: لا. قال الإمام أحمد: أرى الشيطان يتعرض لي ويعض على إبهامه ويقول: لقد فُتَّني يا أحمد؛ ما استطعت أن أضلك. فيخشى العبد أن يوكله الله إلى حسناته.

وكان محمد بن كعب القرظي: يطيل قيام الليل ويكثر الصيام فقالت له أمه: يا بني! عرفناك منذ صغرك طيباً، وعندما كبرت مازلت طيباً، فلماذا تكثر من هذا الحزن ومن كثرة الصلاة والصيام؟ قال: يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله ﷻ اطلع عليّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتنى وقال لي: وعزتي وجلالي لا غفرت لك.

لقد كان يخشى أن يطول الأمد وتطول المدة على ذنوبه دون توبة واستغفار وحسنات تكفرها فينتهي به الأمر إلى المفارقة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ولذا قيل لأحد علماء السلف وهو على فراش الموت يبكي: مالك تبكي؟ قال: أبكي لمفارقة ثلاث: قيام الليل - الحالة التي بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ - أحزن لمفارقتها، ومكابدة الهواجر بالصيام، ومزاحمة ركب العلماء بحضور تلك المجالس. فكان يؤرقه مفارقة هذه الأحوال التي بينه وبين الله تعالى.

* * *

النفحة الثالثة
الحزن على مفارقة القلب لنفحة إلهية

عندما أتى الأخوة إلى أبيهم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ فأجابهم أبوهم عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ فأكد لهم بعدة مؤكدات أنه يحزن حزناً شديداً أن يذهبوا بهذا الحبيب، فتذهب الأحوال التي بيني وبينه. بل حَزِن أشد الحزن ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ بعد مفارقة حِبِّه يوسف عليه السلام.

فكذلك بينك وبين الله عز وجل أحوال ونفحات وأسرار، فالقلب المحب يحزن أشد الحزن على مفارقة نفحة من نفحات الله عز وجل. فتحزن على فوات الشعور السابق تجاه الله تعالى، تحزن على مفارقة حال من الأحوال كانت بينك وبين الله عز وجل.

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
إن الزمان الذي مازال يسعدنا ... أُنساً بقربكم قد عاد يبكينا

حال كانت بينك وبين الله عز وجل؛ تحزن أنها نأت.

فالحزن على فوات حال مع الله يدل على صحة الإيمان في القلب ويدل على حياته، فلو كان القلب ميتاً لم يحس بذلك ولم يحزن ولم يتألم، فكلما كان القلب أشد حياة كان شعورك بهذا الألم أقوى[(١)].

لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب[(٢)].

حَزِن للحال التي كانت ثم فارقته.

ولذا بكى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على فراش الموت واشتد بكاؤه وأخذ يحول وجهه للجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه! أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني؛ ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله

---

(١) انظر طريق الهجرتين لابن القيم (٥٠٤-٥٠٥)

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥٢٤) وأبو نعيم في الحلية (١/٣٣)

الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك؛ فبسط يمينه فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها. فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشُنّوا عليّ التراب شنا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»[1].

لقد حزن عمرو رضي الله عنه على فوات الحال التي كان فيها والتي كانت بينه وبين الله عز وجل ثم تغيرت.

وكذا بكاء أم أيمن رضي الله عنها، إذ قال أبو بكر رضي الله عنه لعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول

(١) رواه مسلم (١٢١).

الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسولهﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

كانت نفحات ورحمات ثم فارقتنا، ذاك التواصل مع الله تعالى بنزول الوحي قد ذهب.

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بينما هى تحتضر على فراش الموت بكت، فاستأذن ابن عباس رضي الله عنه فدخل عليها وقال: «يا أماه! أبشري فو الله ما بينك وبين أن تلقي محمدا ﷺ والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن يحب رسول الله إلا طيباً»، قالت: وأيضا؟ قال: «وسقطت قلادتك بالأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ والناس معه ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فكان ذلك في سببك وما أنزل الله لهذه الأمة من الرخصة، فوالله إنك لمباركة. وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات؛ فليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار». فقالت: «دعني منك يا

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤).

ابن عباس، فو الله لوددت أني كنت نسيا منسيا»[١].

فقد حزنت لمفارقة الحال التي كانت عليها لما فارقها رسول الله ﷺ لذا قالت: «وددت أني كنتُ نسياً منسياً».

ولكنما أبكي بعين ساخنة على حدث تبكي له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسى وَخَلَّةُ حُرٍّ لا يقوم لها مالي
فواحسرتى حتى متى القلب موجع لفقد خليل أو تعذر إفضالِ

فلا بد وأن تنتبه لمرض قلبك واشتغالك وانصرافك عن الأحوال التي كانت بينك وبين الله، فقد يموت القلب وصاحبه لا يشعر بموته؛ فلا تؤلمه جراحات القبائح فيأتي اليوم الذي يقول فيه: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ فإن القلب إذا كانت فيه حياة تألم[٢].

ولا تجعل الحزن يتملكك ويقعدك «فالنفس الشريفة لا تدع الحزن يتملكها ويقعدها، بل تفكر بدفعها وتفكر في أسباب ذهاب تلك الأحوال وفي المخرج منه فالله معك ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾. فالله تعالى يُجلي كل ظلمة بعبودية قلبك له، ويكشف

(١) رواه أحمد (٢٤٩٦)، والبخاري مختصراً (٤٧٥٣)
(٢) المجموع القيم لمنصور المقرن (١٣١/٢)

كل غمة، فتضرع إلى الله تعالى «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي» كما سعى أبو بكر رضي الله عنه وحنظلة رضي الله عنه في ذلك.

فبينما القلب في غفلة الهوى ونومه واشتغاله بالشواغل والمخالطات انكشف عن سنة الغفلة بزجرة من زواجر الحق، بواعظ الله في قلبه فكبر تكبيرة أضاءت له منها قصور الجنة

ألا يا نفس ويحك ساعديني   بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي   بطيب العيش في تلك العلالي

فاستغل لحظة اليقظة ولا تفرط فيها[١].

* * *

(١) انظر مجموع ابن القيم (٢/٤٨٤).

النفحة الرابعة
إذا اشتد الحب صدق الحدس بالمحبوب

عندما أتى أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام إليه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ حدس وشعور خالج قلب الأب؛ إذ ظن أن الأبناء سيأتون ويقولون بأن حِبَّه يوسف أكله الذئب، فصدق ظنه. غالباً ما تظن ظناً يتعلق بحبك فيصدق هذا الظن لشدة حبك له.

النبي ﷺ كان هكذا في علاقته مع الله عز وجل لشدة حبه لله عز وجل، فقد كان يظن ظنا ويصدق ظنه في الله عز وجل وفي الإشارات الإلهية.

لما توجه النبي ﷺ إلى الحديبية بركت ناقته ﷺ فأرادوها أن تستمر في السير إلى الكعبة ولكنها أبت، حاولوا أن يقيموها وينفروها ولكنها بركت ولم تستجب لهم، فقالوا: خلأت القصواء، أي بركت من غير سبب ولا علة فلا تنقاد وعاندت. فقال ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم

قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت[1]. فظن النبي ﷺ أن الحابس الذي حبس الفيل عن دخول مكة والوصول إلى الكعبة هو الحابس الذي حبس الناقة. فصدق حدسه وظنه في هذا لذا قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم أتت قريش بخطة وبشروط وافق عليها النبي ﷺ، فكان فيه هذا النصر لدين الله تعالى، فصدق حدسه نحو الله تبارك وتعالى ونحو بيت الله تبارك وتعالى.

لقد كان النبي ﷺ يَشُم من بعض حديثي الإسلام شيئاً من بقايا الجاهلية من الغلو والإطراء أو شيئاً من الشرك الأصغر إذ جاؤو ا إلى النبي ﷺ وهو سيد البشر بعد فتح مكة فقالوا: يا سيدنا! فقال «السيد الله»[2].

رسول الله ﷺ هو سيد البشر وهو سيدهم فقد صدقوا في هذا اللفظ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن أبى بكر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا[3]، ولكن الرسول ﷺ وجد منهم رائحة الغلو فيه

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (١٦٣٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠)

(٣) رواه البخاري (٣٧٥٤)

والتعظيم والمبالغة في رفع مقام النبي ﷺ عن مقام النبوة فأراد أن يسد باب الغلو الذي ظنه فيهم حتى يتمكن التوحيد في قلوبهم.

النبي ﷺ رأى رؤيا بعد هجرته إلى المدينة، رأى أنه يطوف حول الكعبة كما ذكر ذلك المسور في حديثه: «وقد كان المسلمون خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ» [1]، فكان النبي ﷺ يحدثهم بأنهم سيأتون البيت الحرام ويطوفون به. لذا قال عمر رضي الله عنه: «يارسول الله! أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به»[2] وقال قتادة: أُرِيَ ﷺ في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم آمنون محلقين رؤوسهم ومقصرين[3]. إذ فهم النبي ﷺ الإشارة الإلهية فتوجه إلى الكعبة للطواف وللعمرة. لذا قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ فصدق ظنه في الله تبارك وتعالى.

ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ انكسفت الشمس فقال

(١) رواه أحمد (١٨٩١٠) وقال الأرناؤوط إسناده حسن، سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٨)

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢٩١٠) و ابن جرير (٢٢/ ٢٥٨)

الناس: انكسفت الشمس لوفاة إبراهيم. فقام النبي ﷺ خطيبا فقال: «إنهما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما، فافزعوا إلى الصلاة»[1].

فظن ﷺ أن بعضهم قد يبالغ في ولده إبراهيم لذا قال: «لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» وأراد أن يتمكن التوحيد في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم.

فكان عند النبي ﷺ حدس نحو الله تعالى وكما يسمى حاسة سادسة، فلم يأذن لمعاذ بالسجود له ﷺ ولم يأذن بقيام الصحابة على رأسه ﷺ ومنع من الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله تعالى ومنع من تغني الجواري بشِعر يقلن فيه: «وفينا نبي يعلم ما في غد» ومنع من إقامة المساجد على القبور أو الصلاة إليها.

فعلى قدر حبك لله عز وجل يقوى حدسك نحو الله تعالى ويصدق ظنك في الله تبارك وتعالى، ثم يكرمك الله تعالى بفهم الإشارات الإلهية عن كثب والإصابة فيها سواء في المصائب والأفراح والأتراح.

(١) رواه البخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١)

النفحة الخامسة
مهما بذل المحب للفوز بالمحبوب فهو ثمن بخس

لما التقطت القافلة يوسف عليه السلام من الجب قيل بأنه بيع بوزنه ذهبا وفضة وحريراً[1]. وبالرغم من ذلك فإن الله عز وجل قال عنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ فيوسف عليه السلام مهما بذل فيه من المال؛ فالمبذول فيه قليل لأن المبذول من أجله لا يقدر بثمن، هذا يقال في حق المخلوق، فكيف بعلاقتك بالخالق.

كان النبي ﷺ يبذل كل ما عنده لله عز وجل. قال أبو ذر: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا أحد فقال: «يا أبا ذر»! قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئا أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه[2].

(١) (ابن عطية)

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٤).

وفي غزوة تبوك بذل أبوبكر رضي الله عنه كل ما عنده، ولما سأله النبي صلى الله عليه وسلم: «ماذا أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله[1]. قال ابن الزبير رضي الله عنه في قول الله تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾: هو أبو بكر، كان يشتري الأعبد ويعتقهم. فقال له أبوه: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك. فقال: يا أبت إنما أريد ما أريد[2].

وينبغي على العبد المؤمن إذا بذل لله تعالى أن يبذل من طيب ما يملك. فإذا تطيب للمسجد أو للعبادة أو للدعوة إلى الله تعالى تطيب بأفضل ما عنده من الطيب، وإذا لبس لها لبس من أفضل ثيابه ويرى أن المال المبذول في تحصيل هذه الثياب والطيب مال بخس قليل، كان تميم الداري رضي الله عنه قد اشترى ثوبا بألف دينار ويقول: هذا الثوب للصلاة.

فإذا اشترى العبد لصلاة الجمعة أفضل الثياب ولبسها يرى بأن المبذول لأجله بخس قليل ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾، وإذا بذل ماله للعمرة والحج رأى بأنه ما بذل شيئاً؛ ما بذل إلا البخس، وإذا ضحّى بأفضل الأضاحي وأغلاها وأسمنها وكان مقتدراً لم يأبه بغلائها ويرى بأن المبذول فيها ثمن بخس. فمهما بذلت من أجل

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥) وقال حديث حسن صحيح

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٥٧٢) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

المحبوب فهذا المبذول بخس في حق المحبوب، بل حتى الحياة رخيصة من أجل حبك.

سمع التيمي -وهو أحد العابدين الصالحين- امرأة عابدة تقول: لقد سئمت الحياة، حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله وحباً للقائه، فقال لها التيمي: أنت على ثقة من نفسك؟ قالت: لا، ولكن لحبي إياه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾. فكل مال يرخص لأجل الله تعالى.

لما أَلهَتَ الجياد العربية نبي الله سليمان عليه السلام عن صلاة العصر جمعها فنحرها تقرباً إلى الله تعالى وأطعمها المحتاجين والفقراء ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ فكل مال يرخص لأجل الله تعالى.

قال إبراهيم الخواص: لقيت شاباً في الطواف وكان خلف المقام وكان كثير الطواف والصلاة مشغولاً بالله لا يلتفت إلى ما سواه. فوقعت في قلبي محبته فجئت إليه بأربعمائة درهم وهو جالس خلف

المقام فوضعتها على طرف عباءته وقلت: اصرف هذه في بعض الحويجات، فقام فبدّدها على الحصى وقال: أنا اشتريت من الله هذه الجلسة بسبعين ألفاً، أتريد أن تخدعني بهذا؟ رأى أنه من أعظم الغبن أن ينصرف قلبه فينشغل بالتفكير فيها، فيكون قد باع تلك الجلسة الإيمانية بأربعمائة درهم.

قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل ما وقع تحت العد والإحصاء في جهة المحبوب الأعلى فهو بخس، ولو كان جميع ما في الكون. فلا يكن حظك البخس من ربك. أتسترخص المال الكثير من أجل أدنى شهوة، بينما تستغلي ما تبذله لله تبارك وتعالى؟ لذا قيل: الحب أن تهب كلك لمن أحببت؛ وهو الله تبارك وتعالى، فتجعل إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ووقتك حبيساً على المحبوب في مرضاته ومحابه. قال ابن عطاء: لا تبع نفسك بأدنى شهوة بدلاً من أن تبيعها لله تعالى بأوفر ثمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾.

ألا ترى في الحج الشيخ الكبير والمرأة العجوز قد أتوا من أقاصي البلاد؛ من أندونيسيا والهند وروسيا والصين؟ وقد بذلوا ما بين أيديهم وما خلفهم من أجل الوصول إلى الكعبة والطواف وأداء مناسك الحج ويرى بأنه قد حقق أمنية حياته، وكأنه أصبح ملكاً.

النفحة السادسة
يدوم الحب بكمال الوصال بالمحبوب

دوام الحب بكمال الوصال مع الله ﷻ . لقد سعت امرأة العزيز وحاولت بكل الوسائل لتتصل بمحبوبها، وبذلت كل ما تستطيع للوصول إلى من تحب ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾. فدوام السعادة بكمال الوصال مع المحبوب بالروح والبدن، بل لا تكتمل اللذة -لذة الحب - حتى يأخذ كل جزء من بدنك وكل جزء من روحك قسطه من اللذة مع حِبِّك؛ مع الله تبارك وتعالى.

تتلذذ عينك بالنظر إليه أو النظر إلى ما يحبه الله ﷻ ؛ ويلتذ لسانك بمخاطبته، وترطبه بقراءة كلام الله ﷻ، وتتلذذ الأذن بسماع كلام الله تبارك وتعالى وسماع ما يحبه، ويلتذ عقلك بتدبر كلامه والتفكر في عظمته وآلائه، ويلتذ الرأس بالسجود له؛ وصلبك بالركوع له؛ وجوفك وسائر البدن بالصوم له، تشتم رائحة بيت الله تبارك وتعالى ورائحة الكعبة، تقبل بفمك الحجر الأسود يمين

الله تبارك وتعالى في الأرض، فلتعتكف كل جارحة من جوارحك على ما يحبه المحبوب فتتلذذ به؛ ففيه شفاء القلب.

المحب لا يجد شفاء لقلبه إلا بملازمة حِبِّه ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ وقال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[(١)]. ؛ فقلبه متعلق بالله وبكل ما يوصله إلى الله تعالى ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، لذا قال النبي ﷺ عن الكفارات: «إسباغ الوضوء في السَّبرات ونقل الخطا إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة»[(٢)]. فجميعها وسائل للصلاة؛ للتواصل مع الله تعالى، لذا سمى النبي ﷺ انتظار الصلاة للتواصل مع الله تعالى رباطاً إذ قال

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)

(٢) رواه الطبراني في الدعاء (١٤١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦٩)

ﷺ: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[(١)].

لقد كان االنبي ﷺ يطيل القيام في صلاة التهجد حتى تفطرت قدماه، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا»[(٢)] أنتم تنظرون فقط إلى القدم وإلى قيامي؟ أنا أشعر باللذة، أنا أخاطب الله عز وجل وأتلذذ بهذا الخطاب، وكل قطعة من جسدي تأخذ حقها وتأخذ حظها من هذا الحب ومن هذا الوصال والاتصال مع الله تبارك وتعالى.

كان النبي ﷺ يطيل الركعة الواحدة ويقرأ بها البقرة؛ قال حذيفة رضي الله عنه: قلت يركع عند المائة. ثم مضى فقلت: يصلي بها ركعتين، فمضى. فقلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً[(٣)]. ما كان النبي ﷺ يشعر بتعب الرجلين كان يعيش مع الله عز وجل لحظات الوصال، فدوام الحب بكمال الوصال مع الله عز وجل.

(١) رواه أحمد (٨٠٢١) والترمذي (٥٢) وقال حديث حسن صحيح

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) رواه مسلم (٧٧٢)

لما فارق النبي ﷺ مكة ستة أعوام تاقَهُ الحب إلى الكعبة فاشتاق إليها، فعندما رأى تلك الرؤيا توجه إلى الكعبة شوقا إلى الله تعالى، فأخذ يطوف حول الكعبة وجعل الجهة اليسرى نحو الكعبة؛ لم؟ لأن القلب يميل نحو النصف الأيسر من الجسم، فجعل أقرب جهة إلى القلب أقربها إلى الكعبة، ثم نحر مائه بدنه تقربا إلى الله عز وجل بدلا من نحر القلب لأن هذا ما شرعه الله عز وجل إذ نحر الخليل إبراهيم عليه السلام الكبشَ بدلا من أن ينحر ابنه إسماعيل عليه السلام، فنحر النبي ﷺ مائة بدنه بدلا من أن ينحر قلبه وإلا لو أمره الله عز وجل بنحر قلبه لنحره لله تبارك وتعالى.

وكان النبي ﷺ إذا نزل المطر كشف عن جنبه وعن بدنه فيقول: «إنه حديث عهد بربه»(١). يريد أن يتواصل مع الله عز وجل، ويريد أن تأخذ كل قطعة من جسده نصيبها من هذا الحب؛ من توحيدها لله تبارك وتعالى، وكان ﷺ إذا حلف يقول: «والذي نفسي بيده» «والذي نفس محمد بيده» يعلن فرحاً مسروراً بأن الروح بيد حِبّه ومولاه.

لذا أطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الآخرة رؤيته

(١) رواه مسلم (٨٩٨)

والتعلق به، فدوام السعادة والفرح والسرور والحياة الطيبة بكمال الوصال مع جلاله ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

* * *

النفحة السابعة
يزداد الشوق باللقاء

قال الله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تراه يومياً وكلما رأته ازداد شوقها إليه إلى أن طفح الشوق وفعلت ما فعلت.

يظن البعض بأن الشوق لا يكون إلا بغياب المحبوب، وأنه بلقاء المحبوب يزول الشوق. بل الأمر بالعكس؛ يزداد الشوق باللقاء، وكلما ازداد الاتصال والوصال زاد الحب وازداد الشوق. فكلما رأيت المحبوب ازداد شوقك له بل تريد أن تلصق جسدك بجسده لشدة حبك له، ويزداد نبض الفؤاد ويحترق شوقا إلى المحبوب.

وأبرح ما يكون الشوق يومًا   إذا دنت الخيام من الخيام

ولذا نبي الله موسى عليه السلام عندما اتصل بالله عز وجل أكمل أنواع الاتصال في الدنيا بمخاطبة الله تعالى له ازداد شوقه إلى الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن

تَرَىٰنِي﴾ لقد ازداد شوقي إليك، ولما ظهر من نور الله تعالى ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ لِما هجم على قلبه من الهيبة والحب ما لم ينزل به من قبل. ولذا الله ﷻ لما ذكر أحوال الأنبياء والرسل قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ بكاء حب وشوق وتعظيم وتعلق بالله ﷻ.

وكذا إذا كشف الله ساقه يوم القيامة وقع المؤمنون سجداً لله شوقاً.

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»[1]. فأهل الجنة في شوق دائم إلى الله ﷻ بالرغم من قربهم ورؤيتهم لله ﷻ. فالشوق حال اللقاء يكون أعظم وأشد، لذا قد يبكى المحب إذا رأى محبوبه شوقاً إليه.

(١) رواه مسلم (١٨١)

أعرف امرأة عندها ست بنات وابن واحد؛ سافر ابنها إلى الخارج للدراسة، ففارق أمه أربع سنين، ولما رجع بعد السنة الرابعة استقبلته أمه في المطار، فلما رأته نازلاً من الطائرة بكت واشتد بكاؤها إلى أن سقطت مغشيا عليها. فعند لقاء المحبوب يهجم على القلب شوق لا يجده حال غيبته.

* * *

النفحة الثامنة
التجمل للمحبوب

قال الله ﷻ عن امرأة العزيز: ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾. وفى قراءة أخرى لهشام ورجحها أبو عمرو الداني في جامعه: (**هِئتُ لَك**)[1] **تهيأت لك وتجملت لك. فلبسَتْ أفضل ما تجد من ثيابها وتجملت غاية التجمل لأجل محبوبها.**

إن كنت تحب الله ﷻ فتجمل له ﷻ قدر المستطاع. تجمل أنتَ وتجملي أنتِ للمحبوب الأعلى وهو الله ﷻ. إن كنت تحب الله ﷻ فالبس له أفضل الثياب وأفضل مركوب وتطيب بأفضل الطيب واغتسل بأفضل ما تجد عند التواصل مع الله تبارك وتعالى، قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾. فإذا كنت تأخذ زينتك للعمل وللحفلات وللزواج فخذ هذه الزينة لله تبارك وتعالى.

---

(١) النشر (٢/٢٩٤)، إبراز المعاني من حرز الأماني (٥٣٣/٥٣٤).

قال ابن عباس: أمرهم الله بالزينة وهو ما يواري السوءة، وما سوى ذلك من جيّد البز -أي من جيد الثياب- والمتاع. وقال ابن كثير: يستحب التجمل عند الصلاة ولاسيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك[(١)].

ولذا أخذ عمر بن الخطاب جُبـّة من إستبرق -حرير- تباع في السوق فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله! ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود»[(٢)]، وفي رواية «لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد»[(٣)].

وقال النبي: ﷺ «لا يغتسل رجل يوم الجمعة؛ ويتطهر ما استطاع من طهر؛ ويدهن من دهنه؛ أو يمس من طيب بيته؛ ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين؛ ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[(٤)]. وفى رواية ابن خزيمة[(٥)] «ولبس من صالح ثيابه».

---

(١) (٤٠٢/٣)

(٢) البخاري (٩٤٨)

(٣) البخاري (٨٨٦)

(٤) رواه البخاري (٨٨٣)

(٥) (١٨٠٣)

تجمل لله تبارك وتعالى و لا تلبس أي ثوب إذا أردت أن تذهب إلى المسجد لاسيما لصلاة الفجر، وبعضهم لا يطيب فمه ولا يغسل أسنانه ولا يستاك فتكون رائحته خبيثه وحاله سيئة بينما إذا أراد الذهاب إلى العمل تجمل بأفضل ما يجد.

لما أراد مولى عبد الله بن عمر أن يصلي وكان حاسراً عاري الرأس قال له ابن عمر: أتحب أن تخرج إلى الناس هكذا؟ قال: لا. فقال: فالله عز وجل أحرى أن تتزين له.

والتزين حسب عرف الناس، فإذا كان العرف التزين بلباس معين فالبس لله عز وجل هذه الثياب من أجل الصلاة، ولكن احذر من التكلف في الزينة الذي قد يثقلك عن القيام بالعبادة فتترك العبادة.

لقد اشترى تميم الداري ثوبا بألف دينار وخصصه للصلاة. وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا أراد أن يحدث بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تطيب بأفضل ما يجد ولبس أفضل الثياب وسرح رأسه واغتسل وقال: أريد أن أحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتطيب وتجمل بأفضل ما تجد من أجل الله عز وجل.

لقد حث النبي ﷺ على التزين للصلاة فقال عن السواك أنه: «مطهرة للفم مرضاة للرب»[(١)]، وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[(٢)]. بل حتى عند الاحتضار استخدم النبي ﷺ السواك، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل علَيّ عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فلَيّنْتُه، فَأَمَرَّه وسوكت به النبي ﷺ[(٣)].

لذا قال النبي ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»[(٤)].

لِم خصت الثياب البيضاء لتكفين الموتى؟ لأن الميت سيلقى الله عز وجل فيتجمل ويتطيب حتى عند الوفاة.

وهذه نفحه من نفحات الحب مع الله عز وجل أن تتجمل للمحبوب الأعلى وهو الله عز وجل .

(١) رواه أحمد (٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥)

(٢) البخاري (٨٨٧)ومسلم (٢٥٢)

(٣) رواه ا لبخاري (٤٤٤٩)

(٤) رواه أحمد (٢٢١٩)، وأبو داود (٣٨٧٨) والترمذي (٩٩٤) قال حديث حسن صحيح.

النفحة التاسعة
ما ألذ اللوم في المحبوب

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

لما عشقت امرأة العزيز يوسف عليه السلام صاح النسوة وهن نسوة الوزراء والأشراف فقلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ﴾ إنها امرأة زائغة، تراود مملوكها وخادمها! ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أعدت لهن طعاما وأعطت كل واحدة منهن سكينا لتقطع بها الفاكهة ثم أمرت يوسف عليه السلام فاغتسل، وألبسته أجمل الثياب وسرحت شعره فازداد جمالا على جمال، ولم لا؟ وقد أوتى وأمه شطر الجمال، فطيبته

بأفضل أنواع الطيب فازداد نوراً على نور، فقالت: اخرج عليهن. فدخل يوسف عليهن وهن يقطعن الفاكهة فلما رأين يوسف عليه السلام ما شعرن بجرح أصابعهن بالسكين، عندها ضحكت امرأة العزيز ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ أتلومونني على ما فعلت !! ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ نعم، أعترف أني راودته وأحببته وتعلقت به، فلوموني ما شئتم.

أجد الملامة في هواك لذيذة حبّاً لذكرك فَلْيَلُمْنِ اللَّومُ

الاعتزاز بالانتساب للمحبوب وتقبل اللوم من أجل المحبوب وعدم المبالاة بالتعيير بحبك للمحبوب، حتى لو لامك كل الناس أمر هين من أجل حِبِّك، بل يغريك لومهم لتتواصل به أكثر مما سبق.

إن العبد يتعزز بالا نتساب إلى الله تعالى، لذا كان النبي ﷺ يقول: «أنا عبد لله»[١] ويقول ﷺ: «خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن»[٢] وهي الأسماء التي تنتسب فيها إلى الله عز وجل فتعتز بعبوديتك له ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾.

(١) البخاري (٤٣٣٣)

(٢) رواه أحمد (١٧٦٠٦) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٠)

قال يهودي لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كيف يعرف الرجل يقضى حاجته؟ وفى لفظ مسلم «أنت نبيكم يعلمكم الخراءة؟» أي كيف يقضى الإنسان الحاجة، فانتفض سلمان وقال: أجل «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»[1] اعتزازاً بما قال النبي ﷺ. نعم تعتز بالانتساب إلى الله تعالى وتعتز بهيئتك ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾.

أَظهِر شعائر الله عز وجل في الدول الغربية؛ حتى ولو كنت في المطار وحان وقت الصلاة صلِّ أمام الناس لا يضرك هذا، وإذا كنت في حديقة ودخل الوقت صلِّ، أظهر شعائر الحب لله تبارك وتعالى فأنت محب لله عز وجل، ولا تتخفَّ من ذلك ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وكان النبي ﷺ يحاول قدر الإمكان مخالفة اليهود والنصارى حتى يظهر عزة الإسلام.

ولست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

***

(١) رواه مسلم (٢٦٢)

النفحة العاشرة
الخَلْوة بالمحبوب

المحب دائما يحب أن ينفرد بمحبوبه و لا يحب أن يخالطه أحد ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ لتنفرد بمحبوبها.

أسعد اللحظات أن تنفرد بِحِبِّك: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾. لقد أثنى الله تعالى على عبده زكريا عليه السلام فقال: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾ اعتزل نبي الله زكريا عليه السلام القوم وأحب أن ينفرد مع الله عز وجل حال دعائه. ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: «ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[1].

قال أحد العابدين: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده ومحبوبه وهو الله تبارك وتعالى؛ وقال مسلم بن يسار: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله تبارك وتعالى.

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

وأخرج من بين البيوت لعلني　　　أحدث عنك النفس يا رب خاليا

فاجعل لنفسك نصيبا ولو خمس دقائق يومياً لا يراك أحد؛ تختلى فيها مع الله ﷻ، تفيض بمكنونات القلب بالحب لله ﷻ. وأنت ساجد ابذل حبك لله تبارك وتعالى وخاطبه: رب إني أحبك، رب إني متعلق بك، رب أكرمني بالمحبة، وزدني محبة وتعلقاً بك. وإذا بكيت في خلوتك مع الله تعالى لا يلزم أن تبكى بسبب الخوف من النار ومن العقوبات، بل تبكى حباً وشوقا إلى الله ﷻ.

قيل لمالك بن مغول وهو جالس وحده في بيته: ألا تستوحش؟ قال: أيستوحش مع الله أحد.

لما اجتمع الإخوة بيوسف عليه السلام ومعهم والداه ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ هل اكتملت له السعادة؟ لم تكتمل سعادته عليه السلام إلا بالانفراد بالمحبوب، فاعتزلهم يوسف عليه السلام هذه اللحظة واختلى بالله ﷻ، بعد أن اكتمل الحب مع المخلوقين مع والديه وإخوته اعتزل واختلى بربه تعالى لتكتمل سعادته قـائـلاً: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

النبي ﷺ عندما اكتملت له الأمور كلها في هذه الدنيا وفتح مكة ودخلت الجزيرة في الإسلام وأتت العرب بأشرافها تبايعه وراسل الملوك يدعوهم إلى التوحيد واكتمل الأمر له ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في هذه اللحظة أخذ النبي ﷺ يخاطب الصحابة قائلاً: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله»، فكان رسول الله ﷺ هو العبد(١). لسان حاله ﷺ يقول: أريد أن أنفرد مع الله ﷻ انفرادا حقيقيا لشدة حبي لله، فودع الصحابة في خطبة الوداع قائلاً: «لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا»(٢) شوقا إلى الله ﷻ، وقال ﷺ لحظة الوفاة لما خير بين الدنيا وبين قبض روحه: «اللهم الرفيق الأعلى» قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إذاً لا يختارنا»(٣).

احرص على ساعات الخلوات لتنفرد بحبِّك بمن ملك فؤادك لا سيما في ساعة السحر ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾. سُئِل

(١) رواه البخاري (٤٦٦)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٣٠)

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤)

النبي ﷺ: أي الدعاء أسمع؟قال: «جوف الليل الآخر»[(١)]. فهذا أفضل وقت لتنفرد مع الله ﷻ لاسيما في سجدة السحر حين ينزل الرب فيقترب من العباد قائلاً: «هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه» حينئذٍ تفوز بتعظيم الله لك لندرتك بين الخلق؛ قال النبي ﷺ: «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار -نهض ووثب- من وطائه ولحافه، من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي! انظروا إلى عبدي، ثار من فراشه ووطائه، من بين حَبِّه وأهله إلى صلاته؛ رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى يهريق دمه، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه»[(٢)].

* * *

(١) الترمذي (٣٤٩٩) وأبو داود (١٢٧٧)

(٢) رواه أحمد (٣٩٤٩) وصححه ابن حبان (٢٥٥٧).

النفحة الحادية عشر
العمل الدؤوب للفوز بالمحبوب

قال الله تعالى﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾، راودته: سعت وبذلت وعملت عملاً دؤوباً بلا ملل ولا سآمة للفوز بمحبوبها.

ابذل كل ما في وسعك للوصول إلى محبوبك الأعلى وهو الله تبارك وتعالى.

ولذا كان النبي ﷺ يجتهد فيأتي بكل أنواع العبادات. كان ﷺ يجتهد في الأيام كلها لا يسأم ولا يمل، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ما بلا سآمة ولا ملل، كان يصوم نصف الدهر وكان داود عليه السلام يصوم نصف الدهر إذ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، أما رسول الله ﷺ فكان يصوم نصف الدهر ولكن بطريقة أفضل من طريقة داود عليه السلام وذلك باختيار أفضل الأيام و أفضل الشهور؛ فكان ﷺ يصوم شهر رمضان وأغلب شعبان والمحرم وكان يصوم الاثنين والخميس ويوم عاشوراء والأيام البيض، فكان النبي ﷺ يجتهد قدر الإمكان ويبذل ويعمل عملا دؤوبا للفوز بالمحبوب وبرضا المحبوب وبحب

المحبوب.

وكان يتصدق بكل ما عنده فيقول: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي عليّ ثالثة وعندي منة دينار إلا شيئاً أرصده لِدَين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه»[١].

كانت راحة النبي ﷺ هي الاجتهاد في العبادة تقرباً إلى المحبوب، حتى حمل في آخر حياته بين اثنين يهادى إلى الصلاة وعمره ثلاثة وستون عاما، تقول أم المؤمنين رضي الله عنها: «قد حطمه الناس» لشدة اشتغاله بالدعوة إلى الله وتعليم الناس وقضاء حوائجهم والصبر على جهالاتهم.

من أول يوم نزل عليه الوحي وأُمر النبي ﷺ بالدعوة كان يخطط في دعوته السرية ثم في دعوته الجهرية ثم أخذ يبحث عن بلد مناسب للدعوة هل هو الحبشة أم الطائف أم المدينة أم أين؟ إلى أن أكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ بالمدينة فتوجه إلى المدينة، وكان في العهد المكي قد بذل جهده وأوذي وعذب من أجل الله عَزَّ وَجَلَّ، عمل دؤوب للحصول على مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ ومحبته.

(١) البخاري (٦٤٤٤).

توجه إلى المدينة وهي كثيرة المشاكل، فأخذ النبي ﷺ يحل كل مشكلة على حدة إلى أن تهيأ الأمر وانتشرت الدعوة ورجع مكة فاتحا. كان يخطط ﷺ في العهد المدني فكانت معارك منها غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة بني قينقاع، بنو النضير، بنو قريظه، غزوة الأحزاب، غزوة بني المصطلق . . . غزوات كثيرة ويعقد الأحلاف والمعاهدات كان يخطط من أجل أن يفتح مكة فتصبح الدعوة عالمية فيفوز بمحبة الله عز وجل.

إذا كانت تلك المرأة بذلت كل ما تستطيع للحصول على محبوبها وراودت يوسف عليه السلام بشتى الطرق وحاولت عدة محاولات بلا انقطاع ولا سآمه ولا ملل؛ فالنبي ﷺ بذل كل ما يستطيع من روحه وقلبه وحياته ووقته وبذل مهجته إلى أن حطمه الناس، كل ذلك من أجل الله تبارك وتعالى، ويرى اللذة في كل خطوة يخطوها إلى الله تعالى، بل حتى في كلام الله تعالى؛ كان ﷺ يقرأ القرآن بتدبر دقيق واستنبط من حِكَم القرآن وقواعده وتشريعاته ما فيه فلاح الدنيا والآخرة فبين لهم الدين والشريعة كما فهمها وأقره الله تعالى على كل ذلك كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾، وكما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: أغلب أحاديث النبي ﷺ اجتهاد ويقره الله عز وجل

على هذا الاجتهاد.

حياته كلها ﷺ دعوة إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، حياته ﷺ الاجتهاد فيما يحبه الله بفعل الواجبات والفرائض والسنن المؤكدة والمستحبات وترك المكروهات والمحرمات محبة لله عز وجل، عمل دؤوب للفوز بالمحبوب.

* * *

النفحة الثانية عشر
الذل للمحبوب

قال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾

الحب يورث الذل للمحبوب، فالمحب يذل للمحبوب ويحتاج إليه ويفتقر إليه. لما أحبت امرأة العزيز يوسف عليه السلام أظهرت افتقارها إليه وذلها له بأن تهيأت له وغلقت الأبواب وقالت له: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾؛ تعالَ إلي، فقد تجملت لك خاصة، فأنا محتاجة إليك.

فلا فقر أتم من فقر القلب إلى حِبِّه، إلى المحبوب الأعلى وهو الله تبارك الله وتعالى. ادخل على ربك بالإفلاس المحض، بأنك مفلس وأنك فقير معدوم ما عندك إلا محبة الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾، ادخل على ربك بالافتقار التام.

نبي الله موسى عليه السلام لما فرَّ من مصر بعد قتل ذاك الفرعوني ووصل أطراف مدين وأعان تلك المرأتين ذهب إلى ظل الشجرة

فألقى بنفسه في ظلها ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، دخل موسى على ربه بكمال الذل وكمال الافتقار للمحبوب فذهب عنه الخوف وجاءه الفرج ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾، فتزوج ومكث عندهم إلى أن رجع إلى مصر، وفى الطريق أراه الله عز وجل تلك النار فرأى فيها النور وشعر بالأنس ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ فكلمه الله عز وجل وقربه وأعطاه وخاطبه خطاباً معبقاً بالحب والود ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ لما افتقرت إليّ اخترتك وأحببتك ثم زاده كرامة ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ عندما يقول المحب لمحبوبه: «أحببتك وأنت في عيني» كيف يشعر المحبوب؟ فالله عز وجل له المثل الأعلى يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ ثم يقول له: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾. كم أحب الله عز وجل موسى عليه السلام بعدما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

أنا الفقير إلى رب البريات — أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهى ظالمتي — والخير إن جاءنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة — ولا عن النفس لي في دفع المضراتِ

والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبداً كما الغنـــى أبـداً وصـفٌ له ذاتي

إن من أظهر صور الذل في الدعاء أن تقول: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[1] وهي وصية النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه.

وكذا: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت»[2].

أو تقول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3]. وهي وصية النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها.

هذا من كمال الذل والافتقار إلى الله تبارك وتعالى مع غنى الله عنك «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى

(١) متفق عليه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥)

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٦)

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٣٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٧)

قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. الله عز وجل غني عنا ونحن الفقراء إليه فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

كم تلذذ نوح عليه السلام بدعائه الله تبارك وتعالى عندما قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ وفي قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

وكم يرقص القلب طرباً عندما يُقْبل العبد على ربه متذلِّلاً وهو ساجد: إلهي إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وخور وفقر ونقص وعيب وعورة وظلم وجهل وكفر وجحود وكنود ونكران للجميل وذنب وخطيئة وانتكاس وارتكاس وزيغ وضلال وضياع وحيرة وعجب وكبر وغرور ورياء وذل وعجز وغيبة ونميمة وشر.

فاللهم إني أنا الضعيف أنا الفقير أنا المستكين أنا المستجير أنا

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)

المستغيث أنا المحتاج أنا الظلوم أنا الكفور أنا الجحود أنا الجهول أنا المنِكر للجميل أنا الخاسر أنا الذَّنوب أنا الخاطئ أنا المنتكس المرتكس لولا جلالك أنا الزائغ الضال لولا جلالك أنا الضائع الحيران لولا جلالك فاللهم إنك أنت الغني الحميد أنت الغفور الرحيم أنت الحليم أنت العفو أنت الملك لا إله إلا أنت.

أقبِل على الله بافتقارك التام لعظمته وجلاله تفز بحبه وودّه وقربه.

❊ ❊ ❊

النفحة الثالثة عشر
الاستحضار الدائم للمحبوب

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ محبته قد بلغت شغاف قلبها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ فلا يستطيع القلب أن يغفل عنه لحظة فهو دوماً مستحضر لحبه. فالله ﷻ أولى أن تتخلل محبته شغاف قلبك فتستحضر ربك في كل حركه وكل حين.

لما سأل رجل النبي ﷺ قال: يا رسول الله! أرأيت إن كان الرجل وحده -أي خالياً- هل من بأس أن يتعرى قال ﷺ: «الله أحق أن يستحيا منه من الناس»[1]. فأراد النبي ﷺ أن يعلم الرجل أنه ينبغي أن يستحضر ربه كل حين، هكذا المحب مع حِبه.

لقد تخللت محبة الله شغاف قلب النبي ﷺ، فكل حركة تدل على حبه لله ﷻ ؛ فإذا صلى المصلي وضع يمينه على شماله على صدره على قلبه، و إذا طاف جعل الكعبة على جانبه الأيسر إذ القلب يميل جهة اليسار ليكون أقرب إلى الكعبة، ويبدأ بتقبيل الحجر

---

(١) رواه أبو داود (٤٠١٧) والترمذي (٢٧٩٤) وقال: حديث حسن.

الأسود يمين الله في الأرض، ثم ينحر قلبه لله ﷻ بنحر هديه، فكل حركة تدل على حبه لله ﷻ، لقد تخلى ﷺ عن كل ما يلهيه عن الله تبارك وتعالى لشدة حبه لله ﷻ.

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على غلام يرعى الغنم فأراد عمر أن يختبره فطلب منه شاة فقال الغلام: لم يأمرني سيدي بهذا. فقال عمر: قل له أكلها الذئب. فقال له الغلام: وأين الله؟ دائماً استشعر حضور الله ﷻ. لذا أعلى مراتب الإيمان مرتبة الإحسان؛ «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك».

وبينما عمر رضي الله عنه يتحسس الناس ليلاً إذ مر على بيت امرأة تقول لابنتها: يا بنية! قومي فاخلطي الماء باللبن. قالت: يا أماه ! إن أمير المؤمنين نهانا عن هذا. قالت: وأين أمير المؤمنين الآن. قالت: يا أماه ! إن لم يكن أمير المؤمنين يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا. استحضرت المحبوب الذي تخلل شغاف قلبها.

وما طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح إلا هيجا ذكرهُ ليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمه وأشبهه أو ما كان منه مدانيا

لما اشتغل نبي الله سليمان عليه السلام بالخيول العربية وهي تتسابق إلى أن غابت الشمس وراء الحجاب وكانت أفضل الخيول قال:

﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ لقد ألهتني عن الله ﷻ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ فنحرها تقربا إلى الله تبارك وتعالى.

والنبي ﷺ عندما ألهاه الثوب في الصلاة أمر بأن يذهبوا بهذا الثوب ويأتوا بثوب آخر لئلا يلهيه عن الله تبارك وتعالى. هكذا هو مع الله تبارك وتعالى، محبة الله ﷻ تخللت شغاف قلبه.

ولما قص أهل السجن على نبي الله يوسف عليه السلام رؤاهم أمرهم أولاً بتوحيد الله ﷻ ثم فسرها لهم ﴿... إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ لقد تخللت محبة الله شغاف قلبي، هذا حالي لشدة حبي قد شغلني حبه، لا يكاد يفارق قلبي.

استحضر حِبك كل حين، لا تغفل عنه لحظة.

النفحة الرابعة عشر
الجمال يورث الحب

لقد تعلقت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام لجماله، وكذا النسوة ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. لقد أوتى يوسف عليه السلام وأمه شطر الحسن، فلسان حالها يقول: كيف أُلام في حبه ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾.

الإنسان مفطور على حب الجمال، فالرجل يحب الجمال، والمرأة تحب الجمال، الكل يحب الجمال. فكيف إذا اجتمع جمال المخلوقات نساءً ورجالا وغيرهم في مخلوق واحد؟ وبالرغم من ذلك فهذا الجمال لا يضاهي جمال الله عز وجل: «إن الله جميل يحب الجمال»[1]. فالله هو أصل الجمال، فهو نور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فبه تشرق السماوات وبه تشرق الأرض. هذه الشمس المنيرة ما هي إلا أثر من آثار نور الله تعالى وهي مخلوقة لله تعالى، فكيف بجمال الخالق سبحانه وتعالى؟ لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم: هل رأيت

(١) رواه مسلم.

ربك؟ قال: «نور، أنَّي أراه»[1]. وبنوره وجماله يشرق الكون ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾. عندما يدخل عليك الجميل وأنت تحبه تبادره بقولك: لقد أشرق المكان بقدومك واستنار. فالله ﷻ له المثل الأعلى؛ إذا ما جاء يوم القيامة للفصل بين الناس تشرق الأرض بنور ربها ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

لذا كان النبي ﷺ من شدة تعلقه بجمال الله يدعو الله قائلاً: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك» وقال النبي ﷺ «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرْفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حجابه النور؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2] وذلك لجمال نوره، وهذا نبي الله موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ لم يستطع الصمود عند تجلي جمال الله ﷻ ونوره فَخرَّ حينئذٍ موسى صعقاً. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾

(١) رواه مسلم (١٧٨)

(٢) رواه مسلم (١٧٩)

وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره يقول: «ظهر من نور الله مقدار هكذا» وأشار إلى أصبعه[1].

وإذا كمل الجمال خر القلب ساجداً قبل الجسد، يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة: «هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن»[2] فيخرون لله سجدا لما رأوا من كمال كبريائه وعظمته وجماله فكيف بجمال وجهه ونوره تعالى؟

لقد تقطعت قلوب الصحابة شوقاً إلى رؤية الله تعالى لذا أتوا إلى رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب». قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك»[3].

قال الحسن البصري: لو علم العابدون أنهم لا يرون الله عز وجل يوم القيامة لذابت أنفسهم في الدنيا

(١) رواه أحمد (١٢٢٦٠)، الترمذي (٣٠٧٤)، الحاكم (٦٦) وصححه الترمذي والحاكم

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٣) رواه البخاري (٨٠٦).

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة — أمن بعدها يسلو المحب المتيم

فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بالنظر إلى وجهه يوم القيامة إلى جماله ويكرمنا بنفحة من نفحاته.

فبينا هموا في عيشهم وسرورهم — وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هــم بنــور سـاطع أشرقت له — بأقطـارها الجنات لا يتوهـم
تجلى لهم رب السموات جهرة — فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم — بـآذانـهـم تـسـليـمه إذ يـسـلـم
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما — تريدون عندي أنني أنا أرحم
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا — فأنت الذي تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جميعهم — عليه تعالى الله فالله أكرم
فيـا بائعاً غالٍ ببخسٍ معجلٍ — كأنك لا تدري بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة — وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

❊ ❊ ❊

النفحة الخامسة عشر
ليس المخبر كالمعاين

لما سمعت النسوة بأن امرأة العزيز تعلقت بيوسف عليه السلام قلن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ إذ لم يرين يوسف قبل هذه الكلمة وإنما سمعن عنه. فلشدة غَيْرةِ امرأة العزيز عليه وشغفها بحبه منعته من الخروج لئلا يراه أحد. فلما علمن بأنها راودت يوسف عن نفسه وشاع الخبر أردن أن يرين يوسف عليه السلام، فاحتلن على ذلك بأن قلن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ مكراً بها ورغبة في رؤيته ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ لسان حالها يقول لهن: أَسَمِعْتُنّ عنى وعن يوسف؟ لقد حان وقت رؤيتكن له، إنكن لم ترين ما رأيت. فقدمت لهن الفاكهة والسكين، وكانت قد أمرت يوسف عليه السلام بالاغتسال وألبسته أفضل الثياب وسرحته بأفضل أنواع التسريحات وطيبته بأطيب الطيب فازداد جمالاً على جمال ثم قالت: اخرج عليهن، وقد بدأن بالأكل فلما رأينه أكبرنه. كن قد سمعن عن يوسف عليه السلام ولكن لم يخطر على

قلوبهن أن يكون بهذا الجمال فقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ هذا الجمال ليس جمالاً بشرياً ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ هذا جمال ملائكي «فليس المخبر كالمعاين».

عندما رأينه عذرنها، فأخذن جميعهن ينادينه: لماذا لا تستجيب لامرأة العزيز؟ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾، في السابق لُمْنَها على ما فعلت ولكن عندما رأينه دعينه جميعاً للاستجابة إذ ليس المخبر كالمعاين.

نسمع عن جمال الله تبارك وتعالى كما أخبرنا الله تبارك وتعالى في كتابه وسمعنا من نبيه ﷺ أن الله نور جميل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ولكن إذا ما أقبل العبد على ربه ﷻ يوم القيامة وتجلى الله تعالى لخلقه فى أرض المحشر، ماذا سيحصل؟ سيفوزون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ ويخرون لله سجدا؛ إن الذي نراه أعظم بكثير مما سمعنا. لذا إذا دخلوا الجنة يقول لهم الله ﷻ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من

النظر إلى ربهم عز وجل»[1].

لقد دهش النسوة في يوسف وتحيرن حتى قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم، وهذه غلبة مشاهدة مخلوق لمخلوق؛ فكيف بمن يحظى بمشاهدة الله، فكيف يلام من تعلق بالله ورآه؟!

فما قد علمناه في الدنيا عن الله عز وجل وعن جماله وعن رؤيته ما هو إلا شيء يسير عن حقيقة الجمال الإلهي، فعند مقارنة ما علمناه بالحقيقة يعتبر ما علمناه ما هو إلا ظن لذا قال الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾.

مازلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكـــر
وأستكبر الأخبَار قبل لقائه فلما التقينا صغَّر الخبرَ الخبرُ

فليس المخبر عن الجمال الإلهي كالمعاين له.

وقال آخر:

وكنت إذا ما حدث النا س بالهوى ضحكت وهم يبكون في حسراتِ
فصرت إذا ما قيل هذا متيم تلقيتهم بالنوح والحسرات

كنت ألوم العاشقين قبل أن أعشق ولكن ليس المخبر كالمعاين.

(١) رواه مسلم (١٨١).

قال أحد المحبين في محبوبه:

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى   فإذا عشقت فبعد ذلك عَنِّف

إن الجمال ينسي العبد كل شيء، يقول هشام بن حسان: إن الله تبارك وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة[١]. فعسى الله أن يكرمنا بالنظر إليه في جنة الفردوس.

❊ ❊ ❊

(١) حادي الأرواح (٣٢٠)

النفحة السادسة عشر
التزود من الحب أيام ربيع المحبة

تزود من المحبة أيام ربيع المحبة واملأ خزائن قلبك بها، تزود من محبة الله عَزَّ وَجَلَّ قبل المرض وقبل الانشغال وقبل كبر السن.

رأى الملك رؤيا ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ففسرها نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قال ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ السبع السنوات الأولى أمطار وربيع وخير كثير فاجتهدوا فيها ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾، اشتغل أيام ربيع المحبة وأيام الوصال قدر الاستطاعة للتزود من محبة الله تعالى واملأ بها خزائن قلبك ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لا تدنسها بشائبة. ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ أيام شداد وأحداث

عصيبة تصيب الإنسان، فيها مصائب وأحوال مضطربة وانشغال بمرض أو سفر أو كبر سن تثنيه عن العمل بل تستهلك المخزون ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾. تزود أيام الصفاء مع الله ﷻ، تزود من محبة الله تعالى قبل أن تنشغل بالشواغل وقبل أن تصاب بالمصائب وقبل أن يكبر سنك فتعجز عن العمل، فإن اعترضتك العوارض فإن الله تعالى سيكون معك قال الرسول ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيما صحيحاً»(١) فالله تعالى يدخر له الأجر كاملاً.

اجتهد في الأيام الأولى، قال النبي ﷺ: «لكل عملٍ شِرّة ولكل شِرّة فترة»(٢) أي إقبال على الطاعة بشراهة؛ أي بحرص ونشاط ورغبة واندفاع في الأيام الأولى ثم يفتر.

فهذا الصديق أبو بكر رضي الله عنه كان بكَّاءً شديد البكاء رقيق القلب، ما كان يستطيع أن يؤم الناس في صلاته لسرعة بكائه ثم أصبح خليفة للمسلمين وانشغل بالخلافة وبأمور المسلمين ومصالحهم، فأتاه وفد اليمن فلما سمعوا القرآن بكوا فرآهم أبو بكر فتذكر تلك الأيام فقال: هكذا كنا ثم قسا القلب، أي أيام الربيع الإلهى كانت قلوبنا رقيقة.

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦)
(٢) رواه أحمد (٦٩٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح

واعلم أن الله تعالى لا ينسى لك تلك الأيام التي اجتهدت فيها ولو بعد عقود من الغفلة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، فإذا تزودت بالنوافل أيام الربيع حفظ الله تعالى سمعك وبصرك ويدك ورجلك أيام الشدائد وأيام القحط قال الله عز وجل: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعذينه»(١).

أيها العبد المحب تزود قدر ما تستطيع بالفرائض والنوافل أيام الربيع قبل أن تأتي الشدائد فتقول:

سقى الله أياماً لنا ولياليا ... مضت فجرت من ذكرهن دموع
فيا هل لها يوماً من الدهر أوبة ... لي إلى أرض الحبيب رجوع

تزود من أيام النفحات وأيام الصفاء وأيام الوصال قبل أن تأتى أيام الرعود والكدر.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

النفحة السابعة عشر
احفظ اللب خالصًا

قال يوسف عليه السلام ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ احفظ الأصل، احفظ اللب مغطى بقشره لا يراه أحد ولا ينكشف ليبقى خالصاً بلا شائبة، أخلص في حبك لله تعالى لا تُراءِ فيه ولا تُسمِّع ﴿... فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ إذ لا يبقى على مدى السنوات الطوال إلا المحفوظ بالقشر المغطى فهذا الذي ينفعك ويحفظ الود والمحبة حتى يأتي العام الذي فيه يغاث قلبك وتكثر ثماره وتتنوع ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فإياك أن تكشف المكنون.

كان الجنيد يقول كلمات جميلة في محبة الله عز وجل وفي التنسك

وفى العبادة فلما توفي رُئِيَ في المنام فَسُئِل: ماذا فعل الله بك؟ فقال: ذهبت العبارات وسقطت الإشارات ولم يبق إلا تعليمي للصبيان سورة الفاتحة، هذا الذي نفعني. لذا قال النبي ﷺ «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه»[(١)].

لم ينفع الثلاثة أصحاب الغار إلا إخلاصهم في العمل الصالح، قال النبي ﷺ: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج. وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني، فأعطيتها

(١) رواه النسائي (٣١٤٠).

عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»[1].

الذي نفعهم في مثل هذه الأحوال النوايا الخالصة التي لم تشبها شائبة فحفظها الله لهم فأغاثهم أيام الشدائد ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

فالصدق مع الله والمحبة الصادقة الخالصة التي لم تَشُبها شائبة

(١) رواه البخاري (٢٢٧٢).

هي التي تبقى وتثمر وتنفع لاسيما إذا غلقت الأبواب وضاقت الأحوال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾، وقال النبي ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء»[(١)].

بالصدق يفوز العبد بأعلى الدرجات ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ فصاحب هذا المقعد هو الصادق مع الله تعالى.

فالصادق العامل والصادق مع الله ﷻ الذي لم يستطع العمل هما في الأجر سواء، فاحفظ اللب خالصاً تكن من الصادقين؛ جعلنا الله ﷻ من الصديقين الصادقين.

(١) رواه أحمد (١٨٠٣١)، والترمذي (٢٣٢٥) وقال: حديث حسن صحيح .

النفحة الثامنة عشر
لا تقطع الحبل مع المحبوب وإن وقعت في العظائم العظام

قال نبي الله يوسف ﷺ في تأويله لرؤيا الملك: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾. لا تستهلك جميع المخزون، بل لا بد وأن تبقي شيئاً منه من مادة الحياة تحفظ بها حياتك إلى أن يأتي الغوث.

لا تقطع صلتك بالله عز وجل في أي حال من الأحوال، لا تقطع حبل المحبة مع الله تعالى وتقول: أنا عصيت، أنا قارفت، أنا فعلت الفواحش، أنا فعلت الجرائم. بل أَبقِ شيئاً من حبل المودة بينك وبين الله عز وجل.

حافظ على حبل الصلاة لا تتركها مهما وقعت فيما وقعت فيه فإن الله عز وجل لا ينساك ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ لا ينسى الله عز وجل محبتك له يوماً حتى في الأوقات التي قارفت فيها المعاصي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾. كان

رجلٌ على عهد النبي ﷺ اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يُضْحِك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»(١). لقد شهد له النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله بالرغم من كونه يكثر من شرب الخمر، لقد أبقى حبلاً من حبال المودة موصولاً مع الله عز وجل.

لا تقل اقترفت المعاصي فلن أصوم رمضان بل صم رمضان، حافظ على علاقتك بالله عز وجل. قال النبي ﷺ: «إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفر لها»(٢). يخبر النبي ﷺ عن بغى من بغايا بني إسرائيل زانية والعياذ بالله تفعل الفواحش مع الرجال يوميا خرجت من قرية إلى أخرى، بينما هي في الطريق عطشت فمرت على بئر فنزلت في البئر فشربت ووجدت كلبا يلهث من شدة العطش قالت أصابه الذي أصابني من العطش فنزلت ما يراها إلا الله عز وجل فرحمته لوجه الله تبارك وتعالى فملأت حذاءها بالماء فارتقت ثم سقت الكلب قال

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠)

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥)

النبي ﷺ: «غفر الله لها» أي: تلك الفواحش. لقد أبقت حبلاً يوصلها بالله تعالى بالرغم من بغائها فنفعها وانتشلها.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سِجِلّاً، كل سِجِلٍّ مَد البصر، ثم يقول له: أتنكر شيئا من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل ويقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال: فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

نفعته لا اله إلا الله، ثقلت لا اله إلا الله وطاشت هذه السجلات. أَبقِ حبل المودة مع الله ﷻ، إياك أن تقطعه ولو فعلت ما فعلت.

وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وأحمد (٦٩٩٤) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له»[1].

لا تقطع جميع الحبال التي توصلك بالله ﷻ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ فإنه سيأتي اليوم الذي تنتشل فيه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾، وهذا الحبل من حبال المحبة الذي أبقيته موصولاً بالله تعالى سيكون سبباً في رجوعك إلى الله ﷻ وسيكرمك الله تعالى ويأتيك الغوث الإلهي ويبدل الله ﷻ كل السيئات حسنات قال الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

النفحة التاسعة عشر
الله تعالى لا ينسى محبيه

لا ينسى الله عملك وحبك وإن قلَّ، فاعمل ولو القليل.

ففي تأويل نبي الله يوسف عليه السلام لرؤيا الملك بعد السنوات الشداد﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾. لم ينس الله تعالى عمله في السبع الشداد، ونفعه بالقليل الذي أحصنه.

أيها المحب مهما تخلى عنك الناس وتكالبت عليك المصائب ونزلت بك النوازل لا تظنن أن الله عز وجل يتخلى عنك، وإن كنت مغموراً، وإن أصر الناس على استبعادك.

أيها المحب إن الله عز وجل لم ينسك، أنت ما زلت في عين الله، إن الله تبارك وتعالى لا يزالَ يْذكُرك ويراك ويحفظك، ولكن الله ادخر لك يوماً بعد هذه المصائب لتنال فيه الفوز ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

هذا قد حصل لنبي الله يوسف عليه السلام، لقد أُلقِيَ في الجب وهو صغير واستُرِقّ وهو ابن نبي وهو من أشرف الناس ثم ألقي به في السجن ثم تداركته رحمة الله فأصبح عزيز مصر ﴿... قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

إذا عمت المصائب، انتقاك الله تعالى من بينهم فنجاك إنه لا ينساك أبداً ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾. يخبر النبي ﷺ عن «رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه». لم ينسه الله عز وجل لما عم الجفاف، بل قصدته السحابة بأمر من الله عز وجل.

بل لا ينسى الله ذريتك في غيابك. لما ذهب نبي الله موسى والخضر عليهما السلام إلى قرية ولم يضيفوهما وجدا ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن

يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ فأصلحه. فبين له الخضر سبب إصلاحه له أن الجدار كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحاً فمات وكان تحته كنزٌ لهما فأرسل الله نبييَّه الخضر وموسى عليهما السلام لحفظ كنز هذين الاثنين. لقد حفظ الله ﷻ أبناءه لأن لهذا العبد صلة مع الله ﷻ، الله ﷻ شكور.

لما أراد بنو إسرائيل أن يذبحوا بقرة بالصفات المذكورة لم يجدوها إلا عند فتى بار بوالدته، فأبى أن يبيع البقرة إلا بوزنها ذهباً، فقال لهم موسى عليه السلام: أعطوه بوزنها ذهباً. فالله سبحانه أرسل له هؤلاء ليشتروا منه بقرته وهو فقير لا يملك إلا بقرة فحاز على وزنها ذهباً لأنه كان باراً بوالدته. لم ينسه الله ﷻ ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾. احرص على المودة مع الله ﷻ فلن ينساك الله تبارك وتعالى وإن ضاقت بك الأمور فأنت في عين الله ﷻ.

* * *

النفحة العشرون
المحب لا يخون حبيبه

﴿... قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ ليصل الخبر إلى يوسف وهو غائب أني والله ما خنته، لقد اعترفت بالحقيقة، فالمحب لا يخون حبيبه.

وكذا المحب لله ﷻ لا يخون الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧﴾.

خبيب بن عدي رضي الله عنه عندما أمسكت به قريش وصلبته على جذع شجرة وأرادت قتله قالت له: أتحب أن يكون محمد مكانك؟ والنبي ﷺ في المدينة لم يسمعه ولا يعلم ماذا يدور بينهم وبالرغم من ذلك قال خبيب: «والله ما أحب أن رسول الله ﷺ يشاك بشوكة وأنا بين أهلي» أي لو خيرت: إما أن أقتل والنبي ﷺ سليم معافىً لا يشاك بشوكة؛ أو يطلق سراحي والنبي ﷺ بين أهله ويشاك بشوكه لاخترت أن أقتل ولا يشاك ﷺ بشوكة. لم يخن رسول الله ﷺ في غيبته لذا

أكرمه الله بمكانة عالية.

عبد الله بن رواحه عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر ليأخذ نصيب المسلمين من يهود خيبر فأرادوا أن يرشوه قال: «يا أعداء الله! تريدون أن ترشوني! والله ما جعلني بغضي لكم وحبي لرسول الله ﷺ أن أضيمكم».

لم يخن الله تعالى ولم يخن النبي ﷺ لشدة محبته لله عز وجل، ولذا سئل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١) فالذي يراك لا تستطيع خيانته.

دافع في مجالسك الخاصة عن النبي ﷺ وعن دين الله عز وجل. كان هارون الرشيد يوماً من الأيام جالساً في مجلسه ومعه عمه وكان يحبه حبا شديداً فذكر أحد العلماء حديث النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى»(٢) فقال هذا العم لهارون الرشيد: كيف التقى آدم بموسى؟ فغضب الرشيد وارتجف وقال: عَلَيَّ بالنطع والسيف حتى أقتله. أيقتل عمه! لم؟ قال: كيف يتعدى على مقام النبي ﷺ! لم يقل الرشيد: هذه جلسة خاصة لا يرانا أحد، لم يخن الرشيد الله عز وجل

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

ولا نبيه ﷺ ولم ينجرف وراء الاستهزاء.

عندما أُرْسل حبيب بن زيد إلى مسيلمة ليدعوه إلى الإسلام قال مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيب: نعم، وكان شاباً. ثم قال مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما تقول؟ ما أسمع، يتجاهله. فقطع مسيلمة منه قطعه لحم من فخذه وأخذ يكرر عليه: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول نعم. ثم قال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: ماذا تقول؟ ما أسمعك. فأخذ يقطع منه حتى فاضت روحه إلى بارئها وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. وصل الخبر إلى أمه فقالت: لمثل هذا اليوم أعددته، وعلى الله احتسبته، بايع رسول الله صغيرًا، ووفَّى له كبيراً، لقد صدق مع الله عز وجل.

فلا تخن الله عز وجل وأنت في غيبوبة بين أصحابك.

***

النفحة الحادية والعشرون
الفرج يأتى عند انقطاع الرجاء من الخلق

لما فرح يوسف عليه السلام بأخوته ووثق بهم وخرج معهم يرتع ويلعب ألقوه في الجب، ولما تأدب وأظهر عفته مع امرأة العزيز وظهرت براءته عند العزيز كوفئ بأن أُلقي في السجن، ولما أحسن إلى المساجين ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفسر لهم الرؤيا وقال لمن سينجو: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ نسيه، فانقطع رجاؤه من المخلوقين ولم ينقطع رجاؤه من الله تبارك وتعالى؛ حينئذٍ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فرفعه الله عز وجل وأصبح عزيزا لمصر.

فالفرج يأتى عند انقطاع الرجاء من الخلق، لينصرف القلب عن الجميع إلا عنه وحده، وليتعلق القلب بالمحبوب؛ بالله تبارك وتعالى

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾.

كان أبو طالب يدافع عن النبي ﷺ في الخارج، وكانت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها تخفف عنه في الداخل. فكتب الله عز وجل الوفاة على أبي طالب وخديجة رضي الله عنها في نفس السنة، فما بقي أحد منهم يدافع عن رسول الله، ولكن بقي الله تعالى.

تعلق النبي ﷺ بالله وحده وانقطع رجاؤه من الخلق، فأتاه جبريل عليه السلام فأسرى به إلى بيت المقدس وقدَّمه على الأنبياء فصلى بهم إماماً، ثم عرج به إلى السماء، ثم اقترب من الله عز وجل عند سدرة المنتهى. لينقطع رجاؤك عن الخلق وليكن تعلقك بالله تعالى.

نوح عليه السلام مكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾، وآذاه قومه، فلما اشتد أذاهم دعا ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ ربِ! لقد تخلى الجميع عنى، ربِ! لقد استهزءوا بي، ربِ! ما بقي أحد لي إلا أنت، ربِ! إني مغلوب فانتصر ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣﴾ حملناه فقط على الخشب والمسامير وبالرغم من ذلك نجا! وما تغني الخشبة

والمسامير مع تلك الأمواج التي كجبال هملايا؟ من الذي نجّاه؟ إنه الله ﷻ. لقد انقطع رجاؤه إلا من الله تعالى.

جاء أحدهم إلى أحد المشايخ وقال له: لقدحاولت اثنتي عشرة سنة مع الأطباء فما رزقت بمولود، لقد طرقت جميع أبواب الأطباء وما رزقت بشيء. فقال الشيخ: اطرق باب الله تعالى، تعلق بالله ﷻ، وذكر له قصة زكريا عليه السلام وأنه انقطع رجاؤه إلا من الله ﷻ. ذهب الشاب وأتى إلى الشيخ بعد فترة وقال له: أبشرك يا شيخ؛ لقد حملت زوجتي وولدت توأماً. لما تعلق بالله ﷻ تعلقاً صحيحاً وأخذ بجميع الأسباب كان باب الله مفتوحاً له على مصراعيه، وكانت قد أغلقت أمامه أبواب الخلق. ربما تنسى الله فترة، ولكن عندما تقبل على الله تعالى بقوة وشغف مع بَذْلك الأسباب يفتح الله لك أبواب الخير، ويكرمك بالتوأم من الرزق وهذا من لطف الله ﷻ لينقطع الرجاء عن الخلق؛ وهنا يأتي الفرج ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

أعرف امرأة أصيبت بست جلطات في آن واحد، قال الأطباء: هذه المرأة عندنا في عداد الأموات، فما هي إلا أيام قلائل لتسلم روحها إلى بارئها. لكنها تعلقت بالله تعالى، فما مرت الأيام حتى شفيت فتعجب الأطباء منها، وقالوا: هذا في قانون الطب معجزة.

ابذل الأسباب الصحيحة، واقطع رجاءك من الخلق وتعلق بالله تعالى، واعلم بأن الفرج يأتي عند انقطاع رجائك من الخلق وتعلقك بحبل الله تعالى.

* * *

النفحة الثانية والعشرون
من أحب الله أحبه الخلق

يوسف عليه السلام لما أحبه الله عز وجل ألقى في قلوب الخلق محبته فأحبه أبوه، وأحبه وارد القافلة ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ وأحبه عزيز مصر، وأحبته امرأة العزيز، وتعلق به النسوة، وأحبه الملك، وعندما دخل عليه أخوته سجدوا له.

قال سهيل بن أبي صالح: كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبة! إني لأرى أن الله عز وجل يحب عمر بن عبد العزيز. فقال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس. فقال أبوه: سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه؛ فيحبه جبريل، ثم ينادي في السموات فيقول: إن الله عز وجل يحب فلاناً فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)

لما أحب الله نبيه موسى عليه السلام جعل امرأة فرعون تحبه وجعل فرعون يحبه وجعل شيخ مدين يحبه، الكل أحب موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، من أحبه الله عز وجل ألقى الله في قلوب الخلق محبته.

وكانت قريش تحب النبي صلى الله عليه وسلم، بل كل من رآه أحبه صلى الله عليه وسلم، إنه سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

أراد ابن جابر بن عبد الله الأنصاري مع رجل ثقفي أن يتوجها من المدينة إلى والي البصرة وهو عبد الله بن عامر بن كريز وكان يعطي كل من يأتي من المدينة ويكرمه. فقالا: لنذهب إليه في البصرة لعله يعطينا كما يعطى الناس. فعلم بذلك عبد الله بن عامر فجهز الهدية لهما. فلما وصلا أبواب البصرة قال ابن جابر بن عبد الله للثقفي: ما ترى لو نزلنا فتوضأنا وصلينا ركعتين؟ فقال الثقفي: هذا الذي لا يرد، ففعلا. ولما صليا قال ابن جابر لصاحبه الثقفي: لما صليت ركعتين فَكَّرت فاستحييت من الله عز وجل من أن يراني طالباً رزقاً من غيره. ثم توجه إلى الله سائلاً: اللهم رازق عبد الله بن عامر! ارزقني من فضلك. ثم قال لصاحبه: أريد أن ارجع. فأبى الثقفي أن يرجع، فرجع ابن جابر، واستمر الثقفي فدخل على عبد الله بن عامر فقال له: ألم أخبر بأن معك ابن جابر بن عبد الله؟

قال: أجل، ولكن حصل كذا وكذا واستحيا أن يراه الله ﷻ سائلا الرزق من غيره فرجع. فبكى عبد الله بن عامر وقال: ما قالها ابن جابر أشراً ولا بطراً، ولكن والله رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة من الله تبارك وتعالى فسأله من فضله. فأمر ابن عامر بن كريز بأربعة آلاف درهم وأربعة آلاف كسوة وأربعة آلاف طرف للثقفي، وقال للخازن: أضعف لابن جابر بن عبد الله وأرسل إليه ثمانية آلاف درهم وثمانية آلاف كسوة وثمانية آلاف طرف، أي ضعف ما أخذ الثقفي.

فرجع الثقفى قائلا

أمامة ما حرص الحريص بزائدٍ فتيلًا ولا زهد الضعيف بضائر
خرجنا جميعا من مساقط رؤوسنا على ثقةٍ منا على خير ابن عامرِ
فلما أنخنا الناعجات ببابه تأخر عنى اليثرِبيُ ابنُ جابرِ
فقال: سيكفينى عطيةُ قادرٍ على ما يشاء اليوم بالخلق قاهرِ
وأن الذي أعطى العراق ابن عامرٍ لَرَبي الذي أرجو لسد مفاقري
فلما رآني سأل عنه صبابةً إليه ما حنت ظِرابُ الأباعرِ
فأضعف عبَد الله إذ غاب حظَّه على حظ لهفانَ من الحرص فاغر
فأويت وقد أيقنت أن ليس نافعي ولا ضائري شىءُ خلاف المقادرِ

الله ﷻ يلقى في قلوب الناس محبتك ما أحببت المحبوب الأعلى.

❋ ❋ ❋

النفحة الثالثة والعشرون
الله تعالى يغار

نبي اللَّه يعقوب عليه السلام أحب يوسف عليه السلام حباً شديداً ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ فابتلاه الله عز وجل بفقده ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ ومن شدة حبه ليوسف عليه السلام قال: يا أسفى على يوسف؛ بالرغم من فقده ابنه بنيامين، وأحب ابنه بنيامين فابتلاه الله بفقده. فالله عز وجل يغار، فمن تعلق بمخلوق وأحبه حباً شديداً فإن الله عز وجل قد يبتليه به حتى ولو كان حباً طبيعياً، فكيف إذا كان حبه للمخلوق أنساه ربه تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾.

إبراهيم الخليل عليه السلام لم يرزق بمولود إلا على كبر، قيل: إنه رزق بإسماعيل في الثمانين؛ وقيل في التسعين، فتعلقت شغفة من شغفات القلب بهذا الابن. فلما بلغ الابن ثلاث عشرة سنة خط في

وجهه الشارب وازداد جماله الرجولي بظهور اللحية فازداد تعلق الأب بابنه، فرأى في المنام أنه يذبحه ابتلاءً من الله ﷻ ورؤيا الأنبياء حق ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ فأسلما أمرهما لله تعالى وأسلما قلبيهما له فأخذ إبراهيم الخليل الرجل الكبير في السن وهو ابن مائة سنة أو أكثر أخذ ابنه الفتى ذي الثلاث عشرة سنة وجعل السكين على عنقه وهما يبكيان فأتاه الفرج السماوي. لماذا تقتل ابنك؟ نحن أردنا أن نبتليك، ما أردنا القتل، أردنا الابتلاء فقط لقد رجعت هذه الشغفة وتعلقت بالله تعالى فأصبح القلب كله معلقاً بالله ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فأراق دم الكبش فداء للابن. قال ابن القيم: غار الخليل أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبح الولد ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على إخراجه وعزم عزماً جازماً حصل مقصود الأمر، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة، بل فداه بالذبح العظيم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾.

وكذا من تعلق بزوجة أشد التعلق وأنسته حبه لله ﷻ بعض

الشيء فإن الله ﷻ قد يبتليه بها. وهذه امرأة العزيز حين تعلقت بيوسف عليه السلام تعلقا شديداً أنساها هذا الحب زوجها العزيز وأسكرها إذ قالت له: هيت لك، وتهيأت له؛ وهي في بيت العزيز فقضى الله ﷻ بأن لم تحصل على مرادها منه. فمن تعلق بمخلوق وأحبه حباً شديداً فربما يبتليه الله ﷻ به. فمن رام الحياة الطيبة وحلاوة الإيمان فليقدم محبة الله على جميع المحاب لذا قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[1].

وقال الله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فلا عدل لله تعالى في المحبة، فمن اتخذ لله عدلاً ابتلى به ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ إذ نسويكم برب العالمين في المحبة.

فإذا أحبت الأم ولدها فلا يُنْسِها الله تعالى، وكذا الزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته والصديق مع صديقه فإذا لم ينسهم حبهم للمخلوق حبهم لله تعالى حينئذ يبارك الله لهم فيه، فالله تعالى يغار.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

فالله عز وجل قد يبتلي العبد إذا تعلق بمحبوب تعلقاً شديداً ينسيه الله تعالى وينسيه حقوق الآخرين ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

* * *

النفحة الرابعة والعشرون
كلما ازداد القرب من لقاء الحبيب ازداد الشوق

لما اشتد البلاء والكرب على نبي الله يعقوب عليه السلام بادعاء سرقة بنيامين قوي رجاؤه بالفرج وشعر بقرب مجيء يوسف عليه السلام «إن الفرج مع الكرب» فقال: ﴿... عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ثم تنفس نسائم الفرج فازداد شوقه إلى رؤية يوسف عليه السلام فقال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، فكلما ازداد القرب من لقاء الحبيب ازداد الشوق إليه.

وأكثر ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

نبي الله موسى عليه السلام عندما كلمه الله عز وجل ازداد شوقه إلى الله تعالى فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ لقد ازددت شوقاً إليك يارب.

إذا ارتحل الكرام إليك يومًا ليلتمسوك حالًا بعد حالِ

فـإن رحـالـنـا حـطـت رضـاءً   بحكمك عن حلولٍ وارتحالِ
فُسسْنا كيف شئت ولاتكلنا   إلى تـدبيرنا يا ذا المعالي

لما أنزل الله على نبيه ﷺ قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ علم النبي ﷺ باقتراب أجله فشم رائحة لقائه بالله ﷻ فسارع في توديع الناس، فلما خُيِّرَ استعجل مفارقة الدنيا شوقاً إلى الله ﷻ فودَّع الصحابة في حجة الوداع وقال: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، ثم صلى على شهداء أحد كأنه مودع للأحياء والأموات، ثم قال للصحابة: «إن الله خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» سبق تخريجه، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعلمه بأن هذا العبد المخير هو النبي ﷺ الذي اختار مفارقة الناس والرحيل إلى الله تعالى. فلما خُيِّرَ ﷺ عند الوفاة قال ﷺ: «بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، وأشار بيده إلى السماء». فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه فازداد قرباً من الله تعالى، وكلما ازداد القرب من الله ﷻ ازداد الشوق إلى لقائه.

* * *

النفحة الخامسة والعشرون
التصبر على المصائب انتظاراً للقاء الحبيب

إن الذي يصبر المحب على المصائب وعلى العوائق التي تعترض طريقه إلى حِبّه هو انتظار لحظة اللقاء.

لما ابتلى نبي الله يعقوب عليه السلام بإخبار الإخوة بأن أخاهم قد أكله الذئب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ إذ علم بأن يوسف عليه السلام سيكرمه الله تعالى وأن الإخوة كاذبون ولكن الذي يصبرني هو انتظار اللقاء بيوسف وأنه سيأتي ذاك اليوم الذي ألتقي فيه بيوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

مرت السنون ثم قال الأبناء لأبيهم إن الابن الثاني قد ﴿... سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ إن الذي يصبرني هو اللقاء بالأحبة وسيأتي هذا اليوم بإذن الله تعالى.

فالذي يصبر المحب على المصائب وعلى أشواك الطريق وعوائقه وعلى النكد والهموم رجاء اللقاء بالحبيب لاسيما إذا كان المحبوب الأعلى هو الله ﷻ، ولذا كان النبي ﷺ يقول في خضم المصائب وخداع المنافقين وغدر اليهود والمكر العالمي واتفاقهم على القضاء على دولة الإسلام: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»(١).

وفي يوم أتى الصحابة إلى النبي ﷺ وقد احترقت قلوبهم ولسان حالهم يقول: قلوبنا كادت تتقطع شوقاً إلى الله ﷻ، هل نرى ربنا؟ فقال النبي ﷺ: «إنكم سترون الله ﷻ كما ترون القمر ليلة التمام والشمس ليس دونها سحاب»(٢)، فهذا الذي كان يصبرهم رضي الله عنهم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لو يعلم محمد بن إدريس أنه لا يرى الله ﷻ ما عبد الله». فما صبره على العبادة إلا موعد لقائه بالله ﷻ، وقال الحسن البصري: «لو يعلم المؤمنون أنهم لا يرون الله ﷻ لذابت قلوبهم».

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١)

(٢) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) واللفظ للدارقطني في رؤية الله (٣٨)

لقد خاطب الله ﷻ المؤمنين بعد تسلط الكفار عليهم في غزوة أحد فقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ جنات عند الله تعالى ينزلون فيها في جوار الله تعالى يرون الله ﷻ فيها، فالذي يصبرهم على مصائب تسلط الكفار وأذاهم هو رؤية الله ﷻ في الجنة.

وكنت إذا ما جئت سُعدى أزورها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

هذا في المحبوب الأدنى فكيف بالمحبوب الأعلى. بلال وهو على فراش الموت قال: غداً نلقى الأحبة، محمداً وصحبه. فالذي صبره على سكرات الموت موعد لقاء الأحبة؛ لقاء الله ﷻ ثم لقاء النبي ﷺ. لقاء الله تعالى أعظم موعد للمؤمنين، مع ما يسبقه من انتصار راية التوحيد لذا صبَّر الله ﷻ النبي ﷺ فقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ فالذي يصبر المحب في طريقه إلى المحبوب رجاء لقائه به، فعسى الله ﷻ أن يكرمنا بلقائه والنظر إلى وجهه.

النفحة السادسة والعشرون
كل محبوب يذكر بالمحبوب الأعلى

بعد ما فقد نبي الله يعقوب عليه السلام ابنه يوسف بسنين أتى الإخوة فأخبروا أباهم أن بنيامين الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام قد سرق فاسترِق، فتذكر المحبوب الأول يوسف عليه السلام ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ يخبرونه عن استرقاق بنيامين وهو يقول ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾. فردوا عليه ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يعشقه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

كل محبوب يذكرك بالمحبوب الأعلى وبأفضل من تحب، والمحبوب الأعلى هو الله عز وجل.

أحيانا يعيش العبد المحب أياماً جميلةً مع الله ﷻ في الصيام والقيام لاسيما في العشر الأواخر من رمضان، أيام جميلة وليال عامرة يعيشها مع الله ﷻ في الحرم المكي، من حين يفطر عند الكعبة ويجاورها إلى التهجد، بعدها كلما أفطر تذكر تلك الأيام وتلك الليالي فهوى قلبه إلى الحرم؛ أيام جميلة يعيشها مع الله في الحج والعمرة، وفي صحبة الصالحين ومجالس الذكر، أيامه مع الله ﷻ عامرة بالنفحات الإلهية والنسمات الإيمانية، فكلما صادف حدثاً مشابهاً لأحداث تلك الأيام تواردت إلى قلبه ذكريات تلك الأيام.

رأى بعضهم نهراً جميلاً ومنظراً جميلاً فنزل فيه وأخذ يتأمل السرور والسعادة حين ينظر إلى الله ﷻ. فكل محبوب أدنى يذكرك بالمحبوب الأعلى.

وكل حزن على فوات محبوب أدنى يذكرك بفوات المحبوب الأعلى.

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقى لتذارف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته ... لميت سوى بين اللِّوى و الدكادك
فقلت له: إن الشجى يبعث الشجى ... فدعني، فهذا كله قبر مالك

كل هذه القبور تذكرني بأخي وحبيبي مالك.

لما دخلوا على يوسف عليه السلام والتقى بأبويه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَـٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الوالدان والإخوة كلهم سجدوا ليوسف إكراما له، لحظة سعيدة التقى فيها بوالديه وإخوته وهو عزيز مصر بعد عقود من السنوات التي فقد فيها والديه، لقد جمعهم الآن الحب، في هذه اللحظة اكتملت الدنيا في عين الإبن واكتمل الفرح. هذا اللقاء السعيد ذكره بلقاء المحبوب الأعلى، إذ لا تكتمل الفرحة إلا مع الله عز وجل، فاعتزلهم ساعة فاختلى فيها بالله عز وجل فقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ رب اشتقت إليك، فالمحبوب الأدنى يذكرك بالمحبوب الأعلى.

لقد تذكر عنتره حِبّه عند القتال، وهو شديد الحب للقتال فقال:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منِّي وبِيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال القيرواني:

ولقد ذكرتك في السفينة والرَّدى   متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواصف   والليل مسودُّ الذوائب داج
وعلى السواحل للأعادي غارةٌ   يتوقعون لغارةٍ وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجة   وأنا وذكرك في ألذ تناجى

امرأة عجوز، لما قدم غائبها من السفر وفرح به أهله وأقاربه قعدت تبكي، فقيل لها: وما يبكيك؟ قالت: ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى.

وإني لباكيهِ وإني لصادق   عليه وبعض القائلين كذوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق   وما اهتز في فرع الأراك قضيب

في ليلة من الليالي بينما النبي ﷺ مستلق مع أم ا لمؤمنين عائشة رضي الله عنها أحب أزواجه إليه، قام فجأة إلى الصلاة ليتهجد، فقالت له أم المؤمنين: يا رسول الله! إنا لنحبك ونحب هواك. فقال لها: «يا عائشة! ذريني أتعبد لربي». لقد اشتاق ﷺ إلى الله تعالى[1].

بل كل حدث يثير مشاعر الحب يذكره بالله تعالى. لما نزل

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: إسناده جيد.

الغيث من السماء فاض قلب النبي ﷺ بآهات الحب، لقد تذكر الله تعالى؛ إذ أتى الغيث من السماء؛ من جهة العلو؛ من جهة العرش، فكشف النبي ﷺ عن كتفه لتلامس قطرات الغيث جلد النبي ﷺ وصدره؛ قشعريرة حب تملكت جلد النبي ﷺ فقال: «هذا حديثُ عهدٍ بربـّه»[(١)] من شدة حبه لله تبارك وتعالى. فكل محبوب يذكر بالمحبوب الأعلى.

* * *

(١) رواه مسلم (٨٩٨).

النفحة السابعة والعشرون
حسن الظن بالحبيب

لما دخل الإخوة على يوسف عليه السلام وهو عزيز مصر واعترفوا بجرائمهم أمامه ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، و ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ عند العرب من الفجر إلى غروب الشمس أي لن تغرب الشمس إلا وقد غفر الله عز وجل لكم، وهذا من حسن ظنه بالله تعالى، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إِليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إِليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[(١)].

فإذا ظننت بالله عز وجل الظن الحسن كان الله عز وجل عند حسن ظنك، وإذا أسأت الظن بالله تعالى فأبشر بالمصائب ومواقع السوء؛ فالله عز وجل عند ظنك به، فدائماً أحسن الظن بالله؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته

---

(١) البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»[١].

لما لجأ الرسول ﷺ بصحبة أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار تتبع الكفار آثارهم فوصلوا إلى الغار فقال أبو بكر رضي الله عنه خوفاً على النبي ﷺ: «يا رسول الله! لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا. فقال النبي ﷺ: «يا أبابكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[٢] ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. أحسن النبي ﷺ الظن بالله ﷻ فكان الله ﷻ عند ظنه ﷺ.

ولما توجه عام الحديبية للعمرة وبركت الناقة على مشارف الحرم وقَبِل الرسول ﷺ من قريش الشروط المجحفة «قال له عمر رضي الله عنه: ألست برسول الله؟ قال بلى. قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: فلِماذا نرضى بالدنية من ديننا؟» أي لماذا نقبل مثل هذه الشروط؟ هذا فيه حيف على المسلمين قال ﷺ: «إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»[٣]. أي أنا اجتهدت ثم أحسنت الظن بالله

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٣) رواه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (١٧٨٥).

عَزَّ وَجَلَّ فلن يضيعني، ففتح الله عَزَّ وَجَلَّ له الفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

ولما اتهمت أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بالإفك قالت: «أعلم بأن الله سيبرئني» فما برحت حتى نزلت فيها آيات تبرئها تتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى قيام الساعة.

وسمعت أم المؤمنين أم سلمة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها»، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخلف الله لي خيرا منه؛ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]. لسان حالها يقول: من خير من أبي سلمة؟ فكانت ترى أن أبا سلمه خير الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ولكنها أخذت بالوصية النبوية وأحسنت الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ وقالت الدعاء، فإذا بمبعوث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطرق بابها ليخطبها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أحسن الظن بالله في نفقتك فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال: «أنفق

(١) رواه مسلم (٩١٨).

بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا»[1]، أحسن الظن بالله عز وجل وسيضاعف لك الله عز وجل، لن يتخلى الله عنك وسيرزقك خيراً مما ترجوه.

لما اتفق مشركو العرب على القضاء على الدولة الإسلامية في غزوة الأحزاب ضاقت الأمور على المسلمين وبلغت القلوب الحناجر فقال كبار الصحابة: ﴿... هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ فكان الله تبارك وتعالى عند حسن ظنهم به فكانت نهاية أمرهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

ولما أحسن يوسف الظن بالله عز وجل قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ولما قال يوسف عليه السلام: ﴿... رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ

(١) رواه البزار (١٣٦٦)، والطبراني في الكبير (١٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٢).

أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾. فأحسن الظن بالله تعالى تجد الله عند ظنك به.

* * *

النفحة الثامنة والعشرون
المحب يشم رائحة حِبّه الغائب

قال نبي الله يوسف عليه السلام لإخوته وهو في مصر: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾.

في قميص يوسف عليه السلام أربع فوائد:

الأولى: كشف القميص كذب الإخوة عندما أتو ا بالقميص غير ممزق وعليه دم كذب فقالوا أكله الذئب حتى قال نبي الله يعقوب عليه السلام: ما أحلم هذا الذئب الذي نزع القميص عن ابني ثم أكله.

الثانية: كشف القميص براءة يوسف عليه السلام من تهمة امرأة العزيز ﴿... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ﴾.

الثالثة: قال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فلما خرجت العير من مصر وجد نبي الله يعقوب عليه السلام وهو في البدو رائحة يوسف عليه السلام فقال: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، لقد شم رائحة القميص من مئات الأميال.

الرابعة: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

ريح القرب وريح الزلفى من المحبوب يجدها المحب من مئات الأميال يشم رائحة حبِّه، يشم أرضه، يشم كل ما يتعلق به، لذا قال أنس بن النضر في غزوة أحد لما رأى الناس قد فروا بعد أن كرّ الكفار على المسلمين وأحدثوا قتلاً في الصحابة: «إني لأجد ريح الجنة دون أحد»، أشم رائحة ما أحب.

ألا ترى الأم تأتي إلى ابنها وتشم رائحته الطبيعية، لا تشم رائحة البخور ولا الطيب بل تشم رائحة العرق الطبيعية لشدة حبها لابنها، وكذا الزوجان العشيقان. إن رائحة كل عرق تختلف عن الآخر وليس النتن، ولذا قالت المرأة عن زوجها في ذاك الحديث: «المس مس

أرنب والريح ريح زرنب»[1].

ولشدة حب الله ﷻ للعبد إذا صام يقول النبي ﷺ: «لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[2]، ليست هي الرائحة النتنة للفم بسبب نتن الطعام المتبقي في الفم ولكن رائحة المعدة ورائحة الجوع.

مر أحدهم على بيت فيه ثلاث فتيات غاب أزواجهن، فتكلمت كل واحدة منهن عن زوجها.

فقالت الأولى:

عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

أما الثانية وهى الوسطى فقالت في زوجها:

ومازارني في النوم إلا خيالُه فقلت له أهلًا وسهلًا ومرحبا

أما الثالثة الصغرى فقالت في زوجها:

بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة ضجيعي وريَّاه من المسك أطيبا

فسئل هذا الشاعر البليغ: أي النساء من الثلاث أكثر حباً لزوجها

(١) رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٢) رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١).

وأبلغ في كلامها؟

قال أحدث عن خود تحدثن مرة … حديث امرىء ساس الأمور وجربا
ثلاث كبكرات الصحارى جحافل … حللن فؤاداً للمشوق مُعَذَّبا
خلون وقد نامت عيون كثيرة … من الراقدين المشتهين التغيبا
فبحنَ بمايخفين من داخل الحشا … نعم واتخذنَ الشعر لهواً وملعبا
فقالت عروب ذات عز عزيزةٌ … وتَبْسِم عن عذب المقالةِ أشنبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي … ولو زارني مستيقظا كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت … تنفست الوسطى وقالت تَطَرُّبا
وما زارني في النوم إلا خياله … فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وأحسنت الصغرى وقالت مجيبة … بلفظٍ لها قد كان أشهى و أعذبا
بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة … ضجيعي ورياه من المسك أطيبا
فلما تدبرت الذي قلنَ وانبرى … ليَ الحكمُ لم أترك لذي اللب متعبا
حكمت لصغراهن في الشعر أنني … رأيت التي قالت جميلا وأصوبا

فقال الرشيد: لم حكمت للصغرى؟

قال: ياأمير المؤمنين! إن الكبرى قالت:

عجبت له أن زار في النوم مضجعي … ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

قال: فهو محمول معلق على شرط وقد يقع وقد لا يقع. أما

الوسطى فقد مر بها طيف خيال في النوم فسلمت له لا غير. وأما الصغرى فقد ذكرت أنها كانت معه حقيقة وشمت منه أنفاسا أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها؛ ولا يفدى بالنفس إلا من هو أعز من النفس. فسُرّ الخليفة بهذا الكلام.

إذا كانت الرائحة الطيبة تُشَم فرائحة الحبيب دائماً طيبة وتشم من بعيد. فالرائحة الطيبة قد تذكر العابد المحب بالحرم المكي، بالحرم المدني، برمضان، برحلة الحج، بالصلاة، بالقيام، بالطاعات، بمجالس الذكر، فعسى الله ﷻ أن يجعلنا نشم رائحة الفردوس الأعلى لنرى الله ﷻ يوم القيامة.

* * *

النفحة التاسعة والعشرون
اللهج بذكر المحبوب

لما أتى الإخوة إلى أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام وقالوا بأن عزيز مصر يطلب حضور أخينا بنيامين؛ حينئذٍ تذكر ابنه يوسف عليه السلام فقال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ولما قيل له إن ابنك بنيامين قد سرق ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ ثم قال ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

ولما تعرفوا على يوسف عليه السلام وأعطاهم قميصه وخرجوا من مصر شم أبوهم رائحة يوسف عليه السلام فتذكره ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾، ففي كل وقت يلهج بذكر يوسف عليه السلام يلهج بذكر حِبه، وهكذا المحب دائما يلهج بذكر المحبوب.

فكل شيء له تعلق بالقلب تجد له تعلق باللسان لذا تجد أحدهم

يمازحك في مسألة ما فإذا كرر ذكرها فاعلم بأن الأمر يجول في قلبه.

لما توفي صخر رثته أخته الخنساء وكانت من أبلغ شعراء العرب، وكانت تحبه أشد الحب فقالت في مرثيتها له تلهج بذكر اسمه:

وإن صخراً لكافينا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتوا لَنَحَّارُ
وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

فلشدة تعلق قلب العبد بالله تعالى تجد لسانه يتلذذ بذكر اسم الله تعالى يلهج به.

يا من إذا ذكر اسمه في مجلس لذّ الحديث به وطاب المجلس

هذا الخليل إبراهيم عليه السلام لما دعا الله تعالى لهج بذكر اسم الله عز وجل وكرره ثلاث عشرة مرة في سبع أيات فقط ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ

إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾. كرر اسم الله شوقا وتعلقاً ومحبة وتودداً وسروراً واسترواحا بذكر الله، واطمئناناً وتجملاً وإعمار المجلس بذكره وتطييب اللسان باسمه.

قال مجنون ليلى:

فقال بصير القوم لمحة كوكب ... بدا في سواد الليل فرداً يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلاي أوقدت ... بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا
خليلي لا والله ما أملك البكا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلى بدا ليا
لاوالله لا أملك الذي قضى ... الله في ليلى ولا ما قضى ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به ... ولا الصبح إلا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا ... سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا
ولا سُمِّيَتْ عندي لها من سميةٍ ... من الناس إلا بلَّ دمعي رِدائيا
ولا هبَّت الريح الجنوب من أرضها ... من الليل إلا بت للريح حانياً
أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا
وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس يا ليل خاليا

لشدة حبه لها كرر اسمها، فالمؤمنون أشد حباً لله تعالى، فهم

أشد تكراراً لاسم الله ﷻ مناجين جلاله مستروحين بذكر اسمه في مناجاتهم ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ هكذا انتهت سورة آل عمران باللهج باسم الله تعالى ودعائه، وكذا ختمت سورة البقرة باللهج باسم الله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. فكل شيء له تعلق بالقلب تجد له تعلقاً باللسان، فمن تعلق قلبه بالله تعالى لهج بذكره.

* * *

النفحة الثلاثون
سجود القلب للمحبوب الأعلى

كان في الشرائع السابقة يجوز السجود للمخلوق للتكريم وليس للعبادة كما سجد الملائكة لآدم وكما سجد إخوة يوسف ليوسف عليه السلام ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾. لم يأمرهم نبي الله يوسف عليه السلام بالسجود له تكريماً، ولكن لما عظم في قلوبهم وأكرمه القلب أكرمته الجوارح فسجدت له تكريماً.

إن أكمل الحب مع أكمل الذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، فإذا كشف الله تبارك وتعالى عن ساقه يوم القيامة تخر له قلوب المؤمنين ساجدة فَتَتبْعَهُا جباههم وأجسادهم فتسجد له ذلاً وحباً وتقرباً وتعلقاً بالرغم من أن الله تعالى لم يأمرهم بالسجود؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(١). فالقلب هو الذي يسجد بينما روحه تحوم حول عرش الله عز وجل،

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

فإذا تعلقت الرحم بحقو الرحمن فالروح أولى بالتعلق، لشدة حبها لله تعالى.

فهو سجود القلب يعقبه سجود الجبهة لله ﷻ، يسجد في صلاته ويسجد في التلاوة عندما تمر عليه آية السجدة وعندما تأتيه نعمة عظيمة غير طبيعية يسجد لله ﷻ شكراً، قلبه هو الذي سجد لله لشدة حبه لله فسجدت جبهته لله تبارك وتعالى. كانت العرب تسجد للشيء الجميل والكريم، لذا عندما ذهب عبد المطلب مع كبار قريش إلى سيف بن ذى يزن لما انتصر على الأحباش سجدت العرب له، وكذا الشعراء عندما سمعوا قصيدة أبي نواس -وهي والعياذ بالله قصيده سيئة في الخمر- سجدوا. فأما المؤمن فقلبه يسجد لله لشدة حبه لله وروحه تحوم حول عرش الله ﷻ وهو ساجد ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ تملقاً وتودداً وتقرباً وتحبباً ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ هكذا أحواله تسجد لله ﷻ الذي تلألأت سبحات وجهه وأشرق وجهه بالأنوار القدسية ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

لو يسمعون كما سمعت حديثه خروا لغرته ركعاً وسجداً

ولذا النبي ﷺ يوم القيامة عندما يذهب ليشفع لجميع الأمم لكي

يأتي الله ﷻ للفصل بين الناس يقول النبي ﷺ في حديث البخاري: فإذا رأيت الله ﷻ فأقع ساجداً [سجد قلبه فسجدت جبهته] قال: فيدعني ما شاء أن يدعني[1] [وأنا استروح بهذا السجود جسدي وغرتي] فكان يطيل السجود، ولذا كان النبي ﷺ عموما يطيل السجود في صلاته ويطيل الصلاة شكراً وحباً والتصاقاً بجناب الله ﷻ وتعظيماً وتكريماً وعبودية لله تبارك وتعالى. ولما سئل النبي ﷺ عن أفضل الصلاة؟ قال: طول القنوت[2]، فعسى الله ﷻ أن يكرمنا فيحيينا على السجود له ويميتنا على السجود له وعلى «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) رواه مسلم (٧٥٦).

النفحة الحادية والثلاثون
شدة الفرح بلقاء المحبوب أو ما يوصله إلى المحبوب

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾.

كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل. كان أجود الناس[١]. كان ينفق كل ما عنده فرحاً بلقاء جبريل.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) رواه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨).

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تم بحمد الله

تم الإخراج بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت